د. محمد الطالبي د. إبراهيم العبيدي







البرغواطيون في المغرب

د. محمد الطالبي د. إبراهيم العبيدي

البرغواطيون في المغرب



تانسيفت

الكتـــــاب : البرغواطيون في المغرب.
المؤلـــــف : د. محمد الطالبي ود. إبراهيم العبيدي.
الطبعـــــة : الأولى 1999.

الناشـــــر : تانسيفت.
الغـــــلاف : حسن حيضرة.
الطبـــــع : مطبعة النجاح الجديدة ـــ الدارالبيضاء.
الإيـــــداع : القانوني 1741/1998.

محمد الطالبي

البربر البرغواطيون
البدعة والمثاقفة والنزعة الوطنية

ترجمة عبد الجليل الازدي

البدعة والمثاقفة والنزعة الوطنية عند برير برغواطة (تامسنا - المغرب) - كان البرغواطيون حكام المملكة (أسرة بني طريف المالكة) التي عمّرت أربعة قرون . وقد نظر الإخباريون والدارسون المحدثون إلى نِحلَتِهم بصفتها تشويها فظا للإسلام . وموضوع هذه الدراسة هو تأطير حركتهم الدينية ضمن منظور المثاقفة والنزعة الوطنية. وقد سمح بهذا المنظور تحليل عميق لمصادر المعلومات، ترتبت عنه النتائج التالية :

- برغم الاصل اليهودي لطريف، فقد اعتنق القضية البربرية تحت لواء المذهب الخارجي الصفري في وقت كان فيه البربر ضحايا السياسة العربية .

- لم يكن البرغواطيون قبيلة واحدة،وإنما كانوا أخلاط أجناس متنوعة يوحدها الشعور الوطني .

- إن مؤسس المذهب البرغواطي لم يكن صالح بن طريف،وإنما يونس بن إلياس وخلفه أبو غُفَير.

- هدوا الناس بالإستمالة والاقناع وبالعنف كذلك . وأمدوهم بنبي من وسطهم، وارإياوارا، وبقرآن مكتوب بلغتهم.

- تستمر هذه الدراسة في تحليل السيرورة اللاشعورية في تكون المذهب البرغواطي بصفته إيديولوجية جديدة تولدت عن الاحتكاكات مع الشرق (أخذ يونس عن المذهب الخارجي والمذهب الشيعي والميثولوجيا العربية) . ومن ثم لعبت المثاقفة دور السلاح الذي أخذ من الخصم واستعمل في أفق إنجاز مهام التحرر الوطني .

شكل البرغواطيون قسما من المملكة التي نشأت بفعل الاضطرابات الخارجية الكبرى أواسط القرن الثامن، ولم تندثر إلا مع قدوم الموحدين (124-543/ 742-1148) متمكنة بذلك،وبرغم كل العقبات ،من الحفاظ على وجودها أكثر من أربعة قرون[1]. وكان موطنها بمحاذاة الساحل الأطلسي المغربي،منطقة تامسنا،أي هضبة الشاوية حاليا بين سلا وآزمور[2] . وهؤلاء البربر، الذين يطرح نسبهم القبلي بعض المشاكل[3]، أثاروا انتباه جميع المراقبين القدماء بأخلاقهم العالية وجمالهم وبسالتهم[4]، ولفتوا الآن أنظار العديد من الباحثين المحدثين[5]. غير أن هؤلاء، اقتداء بالإخباريين القدماء، لم يحتفظوا من نحلتهم، المنسوبة دون جدال إلى النبي **صالح بن طريف**، إلا بمظهرها "التحريفي الفاحش للإسلام[6]" .

وتهدف الدراسة الحالية إلى وضع المسألة في ضوء جديد، ألا وهو المثاقفة والنزعةالوطنية. ولهذا الغرض، سنَنَقِّح بعض الآراء التي استسيغت بعَجل ورَويَت دون تحفظ اقتداء ببعض الإثباتات المريبة في مصادرنا .

وتمثل هذه المصادر ثلاث روايات، أقدمها - وهي رواية **ابن حوقل** - لا ترقى إلى أبعد من سنة 340/ 951-952 . وكان ابن حوقل حينها[7] يوجد في سجلماسة حيث استطاع تجميع بعض المعلومات حول البرغواطيين الذين كان **محمد بن الفتح** المعروف باسم **الشاكر** يخوض ضدهم آنذاك وبلا جدوى جهادا دينيا،وتأتي بعد ذلك رواية مستقاة من قرطبة في سنة 352/ 963، ومن ثم فهي حديثة نسبيا . غير أن هذه الرواية تقدم فائدة هامة، ليس فقط لأنها أكثر تفصيلا،وإنما بسبب شخصية صاحبها **أبو صالح زمور** الذي لم يكن سوى إمام البرغواطيين (صاحب صلاتهم) والذي بعثه **أبو منصور عيسى** (341-369/ 952-980)،

سابع أمراء أسرة بني طريف الحاكمة، سفيرا إلى **الحَكَم المستنصر** (961-976/350-366) والي اسبانيا المسلمة. وقد احتفظ بهذه الرواية **البكري**[8]،**وابن خلدون**[9] نقلا عن الأخير ،**وابن عذاري**[10] بكيفية مستقلة،مثلما يظهر هذا من خلال المقارنة بين النصين المنقولين بوضوح عن المصدر نفسه مع بعض الاختلافات العائدة إلى أخطاء النساخ وإلى اختلاف طريقة التجميع. أما الرواية الثالثة، فتسنَد إلى المسمي **أبو العباس فضل بن مفضّل بن عمرو المذْحِجي** الذي استعصى التأكد من هويته، ومن ثم استعصت موضعته زمانيا . وتختلف هذه الرواية عن سابقتها اختلافا شديدا .ونقلها أيضا **البكري**[11] **وابن عذاري**[12]. أما روايات **ابن القطان**[13] - التي استشهد بها **ابن عذاري**[14] قصرا - والكتاب الغفل *مفاخر البربر* [15]،**وابن أبي زرع**[16]، فلم تعمل إلا على استلهام مختلف الروايات المشار إليها أعلاه. وسنرى أن هذه الروايات، التي تمثل إحداها - تلك المنسوبة إلى **أبي صالح زمور** - الرواية الرسمية التي اعتمدها العاهل الرابع في مملكة بني طريف، بعيدة عن الانسجام. وهي جميعا متأخرة عن أصول الحركة،ولم تحتفظ لنا إلا بذكريات غامضة أو بتأويلات تتقصد تشويه الأحداث،وهو ما لم يؤخذ بالاعتبار في الدراسات السابقة،ويبلغ الاختلال قمته عند **جان ليون الأفريقي** [17] الذي يخلط بدعة البرغواطيين مع أخرى مشابهة ولكنها أقل أهمية،ألا وهي بدعة غمارة التي قامت في زمان ومكان آخرين[18].

نشأت مملكة بني طريف - التي سادها البرغواطيون - نتيجة القومية الخارجية الكبرى ذات التوجه الصفري، التي هزّت المغرب بأسره ابتداء من سنة 122/ 740،وكان قائد الحركة - كما هو معلوم - هو **ميسرة السقاء** الملقب **بالحقير**. وكان **طريف**[19] مؤسس المملكة،رفيقا له في الحرب. ويتعلق الأمر بالشخص نفسه الذي أبلى بلاءً حاسما في غزو

إسبانيا حيث وجه إليها، في رمضان 91/ يوليوز 710، أول إنزال استطلاعي في طليعة "مفرزة" من أربعمائة بربري[20]. وهذا الحدث أشارت إليه المصادر بكيفية واضحة[21] ويبدو مؤكدا. وبناء عليه، كان **طريف** - مثل **كسيلة**[22]- في منظور الفاتحين العرب حليفا ومساعدا لا غنى عنه، قبل أن ينقلب ضدهم. ويجب البحث عن أسباب هذا الانقلاب في سياسة إذلال البربر وفي سياسة الغَصْب وسياسة الميز العنصري التي عرفت منعطفا جائرا ومثيرا بكيفية خاصة منذ تعيين **عبد الله بن الحبحاب** على القيروان وتعيين **عمر بن عبد الله المرادي** على طنجة[23]. ومن ثم كانت ثورته انتفاضة النزعة الوطنية التي تم إنجازها تحت لواء المذهب الخارجي الصُفري. وقد قادته هذه الانتفاضة إلى مشارف أسوار القيروان[24]، حيث تمكن من معاينة الانهيار الفجائي واللامتوقع للآمال الخارجية. وعكْس قادة بربر آخرين، حالفه الحظ في النجاة بنفسه. ومنذ ذلك الوقت، هرب بعيدا جدا لاجئا إلى بلاد تامسنا حيث أسس بدءا من سنة 742/124 المملكة التي تعاقب أخلافه على رأسها إلى حين مجيء الموحدين[25].

لكن هل كان بطل القضية البربرية بربريا هو نفسه؟ أكيد أن التوكيدات التي تمنحه أصلا عربيا[26] لا يمكن الوقوف عندها. في حين أن تلك التي تقرله بنسب يهودي تستحق لفتَ انتباهنا أكثر. والواقع أن الأمر في الحالة الراهنة لا يتعلق باتهام عدائي مثل الذي وُجِّه ضد **عبيد الله المهدي**، مؤسس الحكم الفاطمي، والذي كان يهدف إلى إذلاله وإضعاف نواياه السياسية بإنكار ارتقاء نسبه إلى **علي**. إذ يتولد هنا الانطباع بأن النسب اليهودي يتم استدعاؤه بالأحرى بصفته علامة النبل والعز الذي يربط **طريف**، أب النبي، ببيت إسرائيل. إن إمام البرغواطيين، **أبو صالح زمور**، هو الذي يسجل أن طريف من ولد شمعون سلف إحدى القبائل الاثني عشر المنحدرة من **يعقوب بن**

إسحاق[27]،ولا شيء مشين في جميع هذا. ولا أثر لاختلاق عدائي سيء النية . ومن ثم، ليس هناك أي مبرر يمنع فحص إمكانية نسبة **طريف** اليهودية ضد التوكيد الواضح في مصادرنا. فلا شيء عبثي في هذه النسبة . ونحن نعلم منذ مدة أن اليهودية دخلت بكيفية عميقة إلى المغرب[28] وإسبانيا ، قبل المسيحية. ومهدت لها السبيل، ومن بين قبائل المغرب الأقصى التي تهودت، يذكر **ابن خلدون** بصفة خاصة گندلاوة ومديونة وبهلالة وغياثة وبنوفزاز[29]. ويذكر كذلك گراوة التي نجدها ضمن القبائل البرغواطية. غير أن هذه القائمة ليست تامة . ومن ثم،لا يستبعد أن يكون أسلاف **طريف** من بين أولئك اليهود المهاجرين من فلسطين نتيجة الويلات الكبرى التي نزلت بشعبهم،والذين اتجهوا لنشر ديانة إسرائيل في الأقاصي.ويجب أن نسجل والحالة هذه أن **طريف** إن لم يكن أصلا من أرومة بربرية، فمن الأكيد أنه صار كذلك بالتمثل الذي يرقى إلى ماض سحيق جدا ،وهذا ما يسحب البساط من تحت برهان **ابن خلدون** الذي يرى أن الملك لا يمكن أن يؤول إلى غريب "منقطع دخيل في نسبه". ذلك أن **طريف** لم يعد غريبا .

والآن ما حكم النسب الإسباني الذي أسند إليه ولأخلافه كذلك؟ يوضح لنا أبو العباس فضل بن مفضل المذحجي[30] أن أخلاف طريف كانوا من أصل برباطي الذي ليست كلمة برغواطي - التي اشتق منها اسم برغواطة الذي أعطي لمريدهم - إلا تحريفا صوتيا له . وهذا التفسير تمت استعادته مع بعض المتغيرات في الكتاب الغفل *مفاخر البربر*[31] واستعاده كذلك **ابن أبي زرع**[32]،و**ابن خلدون**[33]. فقد كان بنو طريف يملكون قصرا بجوار سيدونيا* Sidonia، حسب **ابن أبي زرع**،وكانوا يقيمون بمدينة أوسونا* Osuna، حسب **ابن حزم**[34]. إن إقامة **طريف** في

(*) سيدونيا وأوسونا مدينتان صغيرتان في أقصى جنوب إسبانيا. (م.ع)

اسبانيا، حيث تلقى هو وأقرباؤه إقطاعيات أرضية مقابل مساهمتهم المتألقة في الفتح، ليست غير محتملة في ذاتها،ويمكنها أن تجد ما يدعمها بكيفية غير مباشرة في خبر أورده **ابن الأثير**(35) الذي يخبرنا، دون أي تعليق آخر، أن الناجين من بلخ، الذين عوملوا في المغرب بقسوة شديدة إبان ثورة **ميسرة**،أغاروا على البربر المقيمين في سيدونيا وقتّلوهم شر تقتيل وسلبوهم خيراتهم قصد الرفع من شأنهم الخاص. وهذه الغارة واختيار سيدونيا كهدف، يظلان في جزء منهما غير قابلين للتفسير ما لم يتم ربطهما بالأحداث التي كان المغرب مسرحا لها والتي لعب فيها طريف دورا بارزا. ولا شك أنه بالإغارة على أقربائه وعلى ممتلكاتهم،كان يشفي غليل بلخ ويؤمن لنفسه غنيمة كبيرة،ضاربا بذلك عصفورين بحجر واحد .

وبالمقابل، لا نعرف أي قيمة تعطى للتطور الصوتي المقترح علينا والذي يشتق اسم برغواطة من نسب برباطي. ومع ذلك، يمكن القول بكشل أولي - وفي انتظار رأي المختصين، أن أصل الكلمة المقترح ليس فيه ما هو أغرب من ذلك الذي يشتق - كما سنرى - ياكُش من يسوع، والذي حصل الدفاع عنه من لدن متبربرين مشهورين. وعلى كل حال، ليس مؤكدا نهائيا التقارب الذي حصل الاعتقاد بالكشف عنه، بين البرغواطيين وباكوات الزمن القديم الذين أشار إليهم الجغرافي **بطليموس** (القرن الثاني للميلاد) و*فهارس رحلة أنطونان*(36). وما يبقى أكيدا هو أن البرغواطيين لم يشكلوا إطلاقا جماعة إثنية متجانسة. ويتردد كُتاب الحوليات المسلمون في ربطهم بجماعة بربرية جد محددة(37) . والشهادة الموثوق بها أكثر في هذا المضمار هي شهادة **أبي صالح زمور** الذي كان يعرف بالتأكيد من يتحدث عنهم بصفته واحدا منهم. إذ يخبر أن اللحظة التي يقدم فيها معلوماته أي سنة 352/ 963، كان فيها **بنو طريف**،ملوك تامسنا، قادرين على جمع أكثر من عشرة

ألف فارس مجندين "من بين قبائل برغواطة الذين يدينون لهم وهم على ملتهم". وهذه القبائل هي :جراوة وزواغة والبرانس وبنو أبي ناصر ومنغيزة، وبنو أبي نوح وبنو واغمور ومطغرة وبنو بورغ وبنو دامر ومطماطة،وبنووزكسينت[38].

وضمن هذه القبائل،كانت جراوة وبنو واغمور وبنو دامر ومطماطة ترتبط - حسب ابن خلدون[39] - بزناتة التي كان من أقربائها زواغة[40] ومطغرة[41] قبيلة ميسرة. وخضع أيضا لسلطة بني طريف("ممن يدين لهم من المسلمين وينضاف إلى مملكتهم"[42])، سبعة عشر قبيلة - قدم قائمتها هي الأخرى أبو صالح زمور - كان بإمكانها أن تمنح ما يقرب من اثني عشر ألف فارس،وكان ضمنها زناتيون كذلك(*). وضمن هذه الشروط، يظهر بلا ريب أن اسم برغواطة لا يشمل بأي شكل تشكيلة قبلية. والخط الفاصل كان مذهبيا بصورة واضحة. فداخل المملكة نفسها، التي نشأت بفعل الاضطرابات الخارجية التي سمحت بأنواع شتى من الاختلاط، تميز نحو عشرة قبائل من أصول مختلفة بالانضمام إلى نحلة جديدة. فهل من العبث آنذاك،تبعا للشهادة الشكلية لمصادرنا، القبول بأنها سميت - أوربما سميت على نحو محقَر؟- باصطلاح مشتق من اسم، أو بالأحرى من نسب، مؤسس عقيدتها؟ أوليا هذا مستساغ تماما. وهذا النوع من الوقائع يمكن تعضيده بأمثلة عديدة من تاريخ البِدع والأديان.

ومن ثم، نضع في الاعتبار أن البرغواطيين يتحددون بنحلتهم الدينية أكثر مما يتحددون بانتمائهم القبلي. فلم يكونوا قبيلة ،وإنما

(*) القبائل المسلمة المعنية ،هي : آزمور، بنو يفرن، بنو أخلوسة، زناتة الجبل،بنو يليت،محالته،بنو واد، بنو ناغيت، بنو النعمان بنوكونه،بنويسكر،آصادة،ركانة،ماسينة،رصانة،ترارته،تمغراوة،وايزمين منادة . (م.ع)

شكلوا طائفة نشأت من مثاقفة تخدم النزعة الوطنية البربرية القديمة والتي ظلت حيوية. وقد كان الحافز الذي وحدهم في البداية هو المذهب الصفري المناصر للمساواة والمتقشف الذي تم استقدامه من الشرق. وقد علمهم ، بقوة حديثٍ مسنَدٍ بالتأكيد، أن السلطة التي تذلهم وتستغلهم ليست شرعية، وأن الثورة ليست حقا فقط، وإنما هي واجب.

ويقول لنا أبو صالح زمور أن طريف كان ملك زناتة وزواغة[43]. مفيدا بذلك أنه كان قائدهم في الحرب. ألهب قضية شعبه. فما الذي قاده من سيدونيا إلى المغرب،هل مرد ذلك إلى بعض الخصومات مع حاكم اسبانيا التي تلقى بها امتيازات ،أم إلى بعض الحرمان الأخلاقي والمادي،والذي جسد في منظوره - فضلا عن ذلك- جور النظام الذي أقامه العرب؟ليس هذامستبعدا. فأي مولى، مهما كان جنسه، لم يكن حينها يجد مبررا للتذمر! والأكيد أن **طريف** خاب أمله في التعاون مع حلفائه القدماء، فغير رأيه. والمساوئ التي اعقبت بسرعة النجاح الباهر رمت به نحو بلاد تامسنا التي يحتمل أنها كانت في البداية - مثلما يؤكد **ابن خلدون**[44]- جزءا من المجال الجغرافي لمصمودة. وهناك «جعله البربر على رأسهم وفوضوا إليه أمر حكمهم وبقي وفيا للإسلام إلى حين وفاته[45]» .

فمتى وقع ضمن الاتجاه نفسه عبور المرحلة الحاسمة أكثر،تلك التي تكمن في إدماج الأفكار الوافدة من الخارج من أجل تحرير الشخصية المحلية بشكل أفضل؟ ومتى حدث الانتقال من تبني البدعة بصفتها حافز الطموحات الوطنية، إلى إبداع دين حقيقي مستقل نسبيا ؟ تبعا لبعض شهادات مصادرنا، شاع الاعتقاد إلى الآن أن الخطوة الحاسمة قام بها **صالح**، ابن **طريف** وخلفه . فهو الذي منح البرغواطيين دينهم الوطني.وتشكل هذه الأطروحة الرواية الرسمية للوقائع التي عرضها على

مخاطبيه القرطبيين سفيراً أبي منصور عيسى بن أبي الأنصار (342-369/ 953-979) سابع ملوك بني طريف. وقد رواها **البكري**[46] بالعبارات التالية :

"ادعى **صالح** النبوة،وشرّع الدين الذي يجاهر به أتباعه إلى يومنا هذا. وأكد أنه أوحي إليه بالقرآن الذي يتلوه أتباعه دائما . -إنه- كما أوضح زمور - صالح المومنين الذي أشار إليه الله عز وجل في القرآن المنزل على محمد عليه الصلاة والسلام في سورة التحريم"[47] .

"وأوصى **صالح** بدينه إلى ابنه **إلياس**، وفقّهه تعاليمه وأعطاه عنها علما كاملا. وأوصاه أيضا بألا يظهر شيئا من كل ذلك قبل أن يشعر بالقوة والأمان بشكل كاف. وحينئذ يمكنه التبشير بالعقيدة الجديدة وقتل من خالفه. وأمره كذلك بموالاة أمير إسبانيا المسلمة وبعد ذلك،غادر صالح البلاد في اتجاه الشرق،ووعد بالظهور إبان حكم خليفته السابع. وأكد كذلك أنه المهدي الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان لقتال الدجال. وحينها، سيكون يسوع بن مريم من أصحابه وسيصلي خلفه. وسيملأ كذلك الأرض عدلا بعد أن مليت جورا ... وتكلم كلاما كثيرا نسبه إلى موسى كليم الله - عليه الصلاة والسلام- وإلى **سطيح** الكاهن[48] **وابن عباس**[49]. وأكد أخيرا أن اسمه في اللسان العربي **صالح**،وفي السرياني **مالك**، وفي الفارسي عالم،وفي العربي **وريا** (=يا إلهي)،وفي البربري **وارإياوارا**[50]،ومعناه الذي لا أحد بعده".

وإذا لم يتم إلى الآن رفض نتائج هذه الرواية المتعلقة بميلاد دين البرغواطيين، فلأنه لم يحصل كثيرا الاهتمام بفحصها جيدا. والواقع أن الفحص المتأني يكشف فيها العديد من الأغاليط والتناقضات التي يجب استبعادها بحزم.ولنبدأ بالتأثير الشيعي لأنه منتشر فيها بجلاء . والحال أن المذهب الشيعي، على عهد صالح،كان لا يزال مجهولا بالمغرب

الذي كان حينها متفانيا في الإخلاص للمذهب الخارجي. وقد وُلد **صالح** سنة 110/ 729-730[51] . وحارب وهو طفل رفقة أبيه **طريف** لنصرة المذهب الصّفري محرر الأمة البربرية . ولا نعرف بالتحديد متى تسلم السلطة بدوره. غير أن الحساب يسمح بموضعة نهاية حكمه حوالي سنة 177/ 739.[52] وهو ما يعني أنه عاش متدينا بالمذهب الصفري الظافر، وأنه لم يخضع لتأثير المذهب الشيعي .

وفضلا عن ذلك، تشير جميع المصادر إلى أن "**صالح**" ظل مدى حياته وفيا للاسلام،بل وقع إطراء علمه وفضيلته (من أهل العلم والخير)[53].وابنه **إلياس** (177-227/ 793-842) لم يَضع فضلَه، بل على العكس، لم يظهر أيا من علامات الانحراف «وعاش حياة طهر وعفة وزهد في منافع الدنيا إلى أن توفي بعد أن حكم خمسين عاما»[54]. وكان ذلك بالطبع «خوفا وتقية»[55] كما يوضح الإمام **أبو صالح** زمور. ولينقضي هذا الخوف،كان من اللازم انتظار حكم حفيد صالح،**يونس بن إلياس** (227-271/ 842-884) الذي كف عن الصمت بشجاعة وباح بالسر الذي ظل إلى الآن مكتوما بصرامة وإحكام طيلة ما ينيف عن نصف قرن، وأعلن جهارا أن جده كان النبي المذكور في قرآن محمد ليمنح البربر دينا خاصا بهم . كيف نقبل بمثل هذا النسيج من المستبعدات؟ وكيف ننسب إلى صالح أبوة الدين الذي لم يبشر به ولم يعمل بموجبه إطلاقا في حياته، بناء على شهادة قاصرة على حفيده، في حين أن أعماله وتحركاته،وكذا أعمال وحركات ابنه وخلَفه المباشر،تطعن بالتزوير طعنا فاضحا وواضحا ضد هذه الشهادة، أو بالأحرى ضد هذه الخدعة؟

أليس الأحرى إسناد أبوة الدين البربري الجديد إلى ذلك الذي أعلنه جهارا ، أي إلى **يونس** ذاته؟ وهذا مستساغ، لا سيما وأن المصادر

تسمح به بكيفية واضحة. إن الروايات الثلاث التي حكت لنا تاريخ برغواطة ليست متفقة بالفعل. وقد احتفظنا إلى الآن بالرواية الرسمية فقط، واستبعدنا ضمنيا الروايتين الأخريين دون فحص سابق ودون سبب. ولاجرم أن الخبر المعزول الذي أورده **ابن خلدون** دون إحالة[56] لا يستحق الاعتبار، ومفاده أن **طريف** هو نفسه مؤسس ديانة برغواطة، وهذا خاطئ بالتأكيد . وفائدته الوحيدة أنه ينقل لنا شكوك الإخباريين الذين أودعوا الإشاعات المختلقة التي روجت في شأن المعتقدات العجيبة لبربر تامسنا ذوي التصرفات الغريبة. غير أن الرواية التي نقلها **البكري**[57] و**ابن عذاري**[58] ضمن عبارات متطابقة مع اختلاف ضئيل، بالاعتماد على **أبي العباس فضل بن مفضل المذحجي**، تستحق كل اعتبار، وإن لم يفطن لها أحد، فربما بسبب التحريف الذي ألحقه بها ده سلان De Slane. وبالفعل، يخبرنا **أبو العباس المذحجي** «أن **يونس** هو مؤسس دين البرغواطيين (**يونس القيم بدين برغواطة**)[59]» . ويضيف في مكان آخر أنه «دعا إلى نبوته» ويوضح الشروط التي أحاطت بهذا الحدث .

وفي سنة 201/ 817-819 [60]، رحل **يونس** إلى الشرق رفقة جماعة تضم **عباس بن ناصح** و**زيد بن سنان**، رأس المعتزلة الواصليين، و**برغوث بن سعيد التراري**، وسلف **بني عبد الرزاق** من الصفرية المعروفين ببني وكيل، و**مناد** مؤسس حصن المنادية قرب سجلماسة. ومن الأكيد أن الأمر يتعلق **برحلة** ، أي السفر التقليدي قصد الدراسة، والذي عرف عصره الذهبي في المرحلة التي تعنينا. وفضلا عن ذلك، يقال إن أربعة من المذكورين صاروا *فقهاء في الدين*. أما **يونس** [61] فقد أنجز ما هو أفضل :إذ صار نبيا. وأما **عباس بن ناصح**- إذا كان هو المعني في مدارك **عياض** - فليست هذه رحلته الأولى، إذ تابع قبل ذلك دروس مالك (179/ 759). فهل استدار بعد ذلك؟ إن مما هو دال بالفعل أن يذكره **عياض** ضمن من تابعوا دروس **مالك**[62] فقط، دون أن يكرس له ترجمة

خاصة. ويظهر جيدا أن أعضاء المجموعة الآخرين كانوا صفرية وواصليين . وليس في هذا ما يثير، فالمذهبان المعتزلي والخارجي لا تعوزهما الصلة بالفعل. وعلمنا كذلك أن **عبد الرزاق**، الوفي لتقاليد جده الصفرية، صار أحدوثة التاريخ عندما استولى على مدينة فاس[63] منتزعا إياها حوالي سنة 266/ 880 من **علي بن عمر** حفيد **إدريس الثاني** .

وفي الشرق، أخذ **يونس** يتعاطى لمخذر بهدف تقوية الذاكرة. والقَاتُ لم يكن مجهولا في العصر الوسيط - لأن الذاكرة كانت حينها تلعب دورا حاسما في اكتساب المعرفة - وهذا لم يكن دائما دون مضاعفات. أو لم يتضرر عقل يونس جراء ذلك؟ ليس هذا مستحيلا. بل أكثر من ذلك، يمكن العثور فيه علي عنصر تفسيري، ضمن عناصر أخرى، لسلوكه اللاحق، طالما أنه كان يبدي دائما اهتماما خاصا بالتنجيم والكهانة. واهتم كذلك بعلم الكلام، الذي كان آنذاك مزدهرا ،وبالجدال[64]. وحين عاد إلى المغرب، أدهش مواطنيه بتوقعاته لبعض الظواهر الفلكية،وبشكل خاص ظاهرة الكسوف.ومذاك صار الطريق إلى النبوة مفتوحا.فمتى ادعاها ؟ أكيد أنه لم يقم بذلك قبل وصوله إلى السلطة. لأن بربر مملكة تامسنا استمروا طيلة حكم أبيه إلياس يمارسون بسلام وابتذال تعاليم الإسلام الصفري الكلاسية.

كان حكم **يونس** (227-271/ 842-884) حكم التغيير والعنف. فقد فرض شريعته الجديدة بالحديد والنار.وتجمع على هذا رواية **أبي صالح زمور** ورواية **أبي العباس المدحجي**. إذ أن قرى أبيدت برمتها وعدّ القتلى بالآلاف[65]. ومن ثم ،لم يكن اعتناق الدين الجديد تلقائيا وهادئا. واستمرت جهود فرضه بالقوة إبان حكم ابن أخ يونس : أبو غفير(271-300/ 884-913)الذي ذاع صيته بكيفية خاصة بعد حمام الدم الذي أهرقه في قرية **تيمغسن** «لدرجة أن البيوت والساحات والأزقة

غرقت فيه» ،وبعد مجزرة موقعة بهث. وما عاد السلام إلا تحت ظل حكم ابنه عبد الله أبو الأنصار (300-342/ 913–953) الذي وُصف بأنه رجل مسالم ومثقف وسخي. ونادرا ما تكللت بالنجاح الجهود الدموية المديدة لفرض الدين الجديد بالعنف، طالما أن اثني عشر قبيلة من أصل خمسة وثلاثين التي تسكن مملكة تامسنا،تبنت أخيرا الدين الجديد، في حين أن سبعة عشر قبيلة أخرى حافظت، لقاء تضحيات رهيبة دون شك، على ارتباطها بالمذهب الصفري التقليدي.

يتضح مما سبق،وبإجماع جميع الروايات الحاكية لتاريخ برغواطة، أن مملكة تامسنا التي أسسها **طريف** عاشت أولا وإلى حكم يونس (227-271/ 842-884) في ظل المذهب الصفري الخالص الذي أدخله المبشرون المشارقة، وتابعه بورع وتقوى **صالح وابنه إلياس**. ومن الثابت فعلا أن الدين الجديد لم يفرض نفسه، وجزئيا فضلا عن ذلك، إلا ما بين (227/ 842-300/ 912)، عن قناعة أحيانا. ولكن بالعنف كذلك . ويتضح من النصوص كذلك، وبما لا يقل ثبوتا، أن القبائل المهتدية إلى المذهب البرغواطي، اعتقدت بقوة - وحول هذه المسألة يتعذر دحض شهادة **أبي صالح زمور** - أن النبي المؤسس لدينها، والذي أوحي إليه بشكل مخصوص القرآن البربري، ليس إلا **صالح بن طريف** الذي لم يدع مع ذلك مثل هذا الشرف طيلة حياته. فكيف نجمع بين هذين المعطيين الثابتين معا، وغير القابلين للتوفيق ظاهريا ؟

يجب البحث عن المفصل في شكل التبشير الذي قاده **يونس** بقوة التوقعات النبوية وطعنات السيف المحكمة. أما التناقضات التي نتبينها، فتنحدر دون شك من عدم كفاية مصادرنا، التي يجب ستر صمتها بالافتراضات المستساغة أكثر، التي تنجلي من منطق تلاحق الأحداث، والتي يمكن دعمها بصلابة .

حين أعلن يونس نبوته الخاصة،وبرغم الأمارات التي أرفقها بها، لم يجد إلا ملاطفة في الاعتقاد بها. وقد رأينا أن المقاومة كانت حيوية،وكان يجب كسرها بالقوة. وعلى العموم، لا الأسلحة التنجيمية ولا المهارات الجدالية المكتسبة من الشرق،كانت كافية للاستيلاء على الحكم. فكان على يونس ضمن هذه الشروط أن يحتمي بأهلية قصوى : أي أن يستثمر لصالح أهدافه الخاصة الرصيد الكبير من النفوذ والاحترام الذي كان لجدِّه **صالح بن طريف** الذي ظلت ذكراه حية ومحترمة بسبب حياة التنسك والقداسة التي عاشها. وقد جعل منه صورة أسطورية حقيقية من أجل متطلبات القضية . والمثال المضروب أدى إلى مزايدات في الاستعمال . فالبعض،ممن ذهب في الاتجاه نفسه، كانوا أكثر ملكية من الملك. وكي لا يخلقوا حسادا، طابقوا نبوة **صالح**، بتوكيد ظهوره في بداية الهجرة،مع نبوة محمد. وابن خلدون، الذي نقل هذه الحكاية، نبه بجد كبير على أن الأمر مع ذلك يتعلق "برواية أقل صحة من الروايات السابقة **(والأول أصح)**"[68]. ومن الأكيد أن يونس لم يدفع الحمية الوطنية إلى هذا الحد،وإنما بقي دون شك ضمن حدود زمنية معقولة،واكتفى بإسناد قرآن بربري من تأليفه وكذا تعاليم الدين الجديد التي تخيلها هو نفسه إلى جده الشهير. وبالنسبة إليه قنع نوعا ما بدور متواضع نسبيا : ألا وهو دور منفذ الوصية، المكلف بإظهار وتطبيق ما ظل سرا إلى الآن بكيفية إرادية. ولم يكن وحيد جنسه، بل إن أبا غفير الذي تابع عمله، زعم بدوره أنه نبي هو الآخر[69]. وفضلا عن ذلك،يقال لنا أن النبوة كانت سنة في سلالة بني طريف[70]. مثلما الإمامة في نسل علي؟ وهكذا ندخل ضمن مناخ شيعي. وإضافة إلى مناقب التأسيس الفعلي لدين الجديد، ألقى يونس كذلك على كاهل جده تبعات المجازر التي اقترفها. فقد أعلن بالفعل أنه لا يعمل على هذا المنوال إلا استجابة لتعليماته السرية[71]،ووعد الجميع برجعته الظافرة في حكم

خليفته السابع. يتّهَمَ الأموات بدل الآخرين. وإجمالا ، صار **صالح** حجة ممتازة، مثل **البيگ براذر** في رواية **جورج أورويل** : *1984*. إن استثمار ذكرى القداسة التي تركها في كل النفوس،كان مثمرا لدرجة أمكن معها دوما استحضار ظله دون مهابة الانفضاح. وإجمالا ، فإن نفوذ صالح كان ضروريا لكسر المقاومة ولضمان نجاح العملية. وهكذا يمكن تفسير الاستعمال الذي خضع له اسمه. فبمجرد ما استقر الدين الجديد، لم يعد المؤمنون به يشكون طبعا - وعلى رأسهم الإمام الأكبر - أن المؤسس الأول والفعلي كان هو **صالح بن طريف** كما قيل لهم.

لقد كان الدين الجديد ثمرة مثاقفة في خدمة الكبرياء الوطني الجريح. وفي بادئ الأمر، اعتقد البرابرة المهانون أن بإمكانهم الحصول على هويتهم في المذهب الخارجي الصفري والعثور فيه على ترياق كل آلامهم. والإصلاح الذي قام به **يونس** ليس في الواقع إلا خطوة جريئة في الاتجاه نفسه. ولم يكمن بصريح العبارة في التحرر كليا من قبضة الاسلام. وإنما انحصر في بربرته جذريا بصوغه في قالب محمول على رؤية محلية تماما، وأهلية ومستقلة بكيفية أساسية. كانت الثورة واقعية، غير أنها لم تكن شاملة بالقدر الذي يمكن اعتقاده أو بالقدر الذي كانت تريده هي نفسها. فقد تمت بالفعل، داخل الإطارات الثقافية نفسها التي ثارت ضدها مبدئيا، ومن ثم لم يكن التحرر موضوعيا إلا تحررا جزئيا. وهذا يعني أن مثاقفة البربر الثائرين باسم المذهب البرغواطي كانت، دون علمهم، عميقة نسبيا عند الاتصال بالقيم الحضارية الوافدة من الشرق. وكانت في جميع الحالات قوية بما يكفي لتفرض عليهم النماذج الثقافية التي استخدمت كقاعدة لبناء النظام الأدلوجي المجتمعي الذي كان موجها، تحت اسم المذهب البرغواطي، إلى استرداد شخصيتهم وإثباتها في مواجهة سيطرة الآخر الروحية المستَلِبة. فهل من الضروري التشديد على أن مثل هذه الظاهرة أمكن ملاحظتها

في بعض حركات التحرر الوطني الحالية؟

ومما هو دال أن نلاحظ أن البرغواطيين لم يحاولوا في سبيل إنقاذ روحهم الوطنية المهانة والمهددة إعادة اكتشاف الصخر الأصيل لشخصيتهم الأساسية فيما وراء مختلف طبقات الرسوب التي غطتها. فهل هذا نسيان؟ أم عقدة؟ أم وعي بفقر معطيات الانطلاق من أجل التنافس بكيفية فعالة مع المذاهب المستوردة؟ ولم لم يبحثوا كذلك عن ملجأ في قيم الحضارات السابقة التي أثرت فيهم - أي حضارات العصور القديمة الوثنية أو المسيحية. ولهذا ما يفسره. إذ كان الأمر كذلك. وكانوا قابلين للاختراق فعليا بالقيم القديمة،فإنهم في الفترة التي تعنينا وبعد ما يقرب من قرن ونصف من الإسلام، لم يحتفظوا منها إلا بذكرى غائمة. وعلاوة على ذلك، كان أثر المذهب الصفري، المتقشف والمساواتي، إيجابيا جدا لدرجة أن الأغلبية ظلت متمسكة به، على الرغم من إغواء الأفكار الجديدة للكبرياء الوطني والقوة المقنعة للسيوف التي كانت تدعمها. وهذا يعني أن القبائل البربرية المدعوة للحصول على هويتها في المذهب البرغواطي شهدت تحولا عنيفا. فعندما لم تخلص نهائيا للإسلام إلى حدود الاستشهاد، تشربته بكيفية عميقة كي لا تستطيع بعد ذلك التحرر منه إلا بإعطائه نظيرا في شكل لِثْم(*) مصمّم ومؤلف في البلد . وبذلك اختلفت النزعة الوطنية البربرية اختلافا جذريا عن الشعوبية الفارسية .فعوض رفض المثاقفة، باسم القيم السلفية للحضارة، انطوت عليها بالأحرى وأدمجتها ثم استخدمتها مثل مِقْفَز.

كان مؤسس الدين البرغواطي أكثر أفراد أسرته تأثرا بالثقافة الإسلامية، ويقال إن يونس هو الوحيد الذي أدى فريضة الحج[72] وقام

(*) - لثم : مثل وشبه وترب وقرين. (شيء يشبه شيئا آخر شبها كليا) .

برحلة دراسية طويلة إلى الشرق. وقد رأينا أنه كان يهتم بالعلوم الدنيوية، وخاصة علوم السحر والتنجيم، قدر اهتمامه بالعلوم الشرعية،وأنه وصل حدّ التخذير قصد استيعابها بشكل أفضل، ويمتدح **ابن حوقل**،تحت اسم **صالح**، خطه الجميل ويطري ذكاءه[73]. وقد تمكن **يونس** في الشرق من معرفة قيمة الشعوبية الفارسية التي كانت آنذاك في أوج صراعها ضد أطماع العرب. فهل رُضَّ وأهين بسبب أصوله؟ ليس هذا مستبعدا، إذ نعرف أن القادم من المغرب، ولو لم يكن بربريا ،يكون عرضة لبعض الحوادث المزعجة. فقد علمنا مثلا أن **زفر بن الهذيل** تعرض للاحتقار بسبب سحنته المغربية[74] ،وهو يناقش الفقه في حضرة **أبي حنيفة**(ت150/ 768)، من لدن التونسي الفارسي الأصل **ابن فروخ** الذي أتى بانفاق شديد للبحث عن العلم في مراكز العراق الشهيرة. وقد عومل **يونس** نفس المعاملة،وربما بما هو أفظع. وتجرع أكثر من إهانة،وتَذَكرها. فقد كان أميرا، وليس واحدا من العامة،واستخدم العلم المكتسب كسلاح،واستعمل جميع الوسائل .

اقترض من المذهب الخارجي. فلكي يفسر لمواطنيه المنكرين كيف أن جده وأباه لم يعلنا جهارا طيلة حياتهما الأفكار النبوية التي يسندها إليهما ،لجأ إلى مفهوم *التقية* الخارجي، أي الكتمان التكتيكي الذي تفرضه الظروف. وقد قام خلفه ومتابعه أبو غفير بدفع مثال التقوى والزهد، الموروث عن المذهب الخارجي، إلى حده الأقصى،ذاهبا إلى حدود الصبر عن الغذاء خمسا من الدهر وسبعا وتسعا متتابعة[76]، ضاربا بذلك ربما جميع الأرقام القياسية المعروفة في محيط الطهارة بتعذيب الذات. واستعار من المذهب الشيعي كذلك. فقد كسا **صالحَ بنَ طريف** في الوقت ذاته زي نبي وإمام شيعي من النمط الإسماعيلي. وأكد لأتباعه أن مرحلة الاحتجاب التي دخلها بعد ذهابه، ستعقبها رجعته في هيئة مهدي آخر الزمان المتوقع والمنتظر. وهكذا، فإن الإنجاز النهائي

السابق للقيامة، سيتم تحت قيادة بربري أصيل، وسيصلي وراءه المسيح معترفا هكذا بأسبقيته. وهذا أقصى إرضاء للكبرياء الوطني. وسيحارب الدجال كذلك، وإليه سيعود الفضل في ملء الأرض عدلا بعد أن مَليت جورا[77]. ومن الأكيد أن **يونس** استطاع التآلف مع المذهب الشيعي في الشرق. غير أن هذا ليس ضروريا البتة لأخذ تلفيقيته بالاعتبار. ففي اللحظة التي بشر فيها بديانته،كان الأدارسة المقيمون في فاس قد وطنوا في المغرب الأقصى منذ عشرات السنين بعض أطروحات المذهب الشيعي التقليدي. وأولى من ذلك، في جبال الأطلس المغربي، أي على أبواب مملكة تامسنا تقريبا،كان **بنو لماس** قد اهتدوا إلى شكل من المذهب الشيعي الذي كانت له صلات كبيرة مع المذهب الاسماعيلي[78].ومن ثم، يمكن تفسير التأثيرات الشيعية بشكل أفضل . ولم يتم التوقف في الطريق السوي بهذا الوجه. وإنما تم الاغتراف كذلك،نزولا عند مقتضيات القضية،من الأسطورة العربية. إذ وقع بالفعل التكهن بالمصير الاستثنائي **لصالح** من لدن الكاهن **سطيح**،وهو كائن خرافي نصف مِسخ ونصف إنسان في الجزيرة قبل الاسلام. وعدم اللجوء، ولو في موضوع الكهانة، إلى خدمات بعض الكهنة المحليين، يوضح الكثير حول اتساع المثاقفة والعُقد. والواقع أن نفوذ الدين الجديد المرغوب في إقراره،يقتضي التكهن بمصير **صالح** البربري من قبَل **سطيح** الذي تكهن بظهور **محمد** في الماضي البعيد ومن مسافة آلاف الكلمترات. فالمعجزة لن تكون إلا أكثر وقعا وأكثر إطراء بالنسبة للكبرياء الوطني. والمثاقفة التي كانت تفشي العُقَد،كانت على الدوام سلاحا موجها إلى الخَصم .

ومع ذلك، لم تتم استعارة اسم الله الواحد من العرب،وهو رأي قريب من عقلية البربر الأصيلة والحياتية(*) بالأحرى. ذلك أن

(*) حياتية Animisme

البرغواطيين يتوفرون قبلا على كلمة ملائمة: **ياكُوش** أو **ياكَش**[80].
غير أن الأمر يتعلق مع ذلك بكلمة مستعارة،ممن؟ من العصر الوثني القديم، حسب ما ذهب إليه **ده سلان**[81]،وبعده **دوزي Dozy**[82] وغيرهما من المختصين الذين اعتقدوا بدورهم الكشف فيها عن تحريف لكلمة **باخوس** . والأولى من العصر المسيحي القديم فيما يراه **ج. مارسي** الذي يقترح علينا أصلا اشتقاقيا لبِقا يجعلنا نكتشف تحت اسم **ياكوش** اسم **يسوع**[83]. وفي جميع الأحوال نجد نفس الظاهرة :تخصيص الثقافات الأجنبية دون التخلي عن الإقليمية المحلية .

هكذا يتبدى لنا المذهب البرغواطي الذي أبدعه **يونس** بصفته أساسا نتيجة ظاهرة مثاقفة ملائمة لمقاومة قوية ضد التمثل الصرف والبسيط. وعوض استخدام المثاقفة كمذوِّب، تم استعمالها ككاشف. ويتقوى هذا الانطباع كلما استحضرنا خصيصات أخرى من الظاهرة .

وقد مثل المذهب البرغواطي كذلك المتنفس والدعامة المهيكلة للنزعة الوطنية البربرية القديمة التي عرفت عند البرغواطيين منعطفا جذريا متطرفا . وقد حمل المذهب الخارجي داخل نفس العقيدة المساواة الشاملة. وذهب في شكله الإباضي - وبالتأكيد في شكله الصفري كذلك - إلى حدود وضع سلسلة من الأحاديث - بنوايا ورعة طبعا - متملقة [84] لكبرياء البربر الذي خدشه بحدة سلوك العرب اتجاههم. لكن البدهي أن المذهب الخارجي لم يكن في إمكانه القبول بما هو أكثر دون خيانة الرسالة التي يحملها. وأصالة المذهب البرغواطي تكمن بدقة في اختراق الروبيكون . وقد أعطى **يونس** لأنصاره نبيا من جنسهم وقرآنا بلغتهم وتعاليم ثقافية ، إن لم تكن أصيلة، فإنها تعتبر على الأقل سامية بسبب ضروراتها الكبيرة جدا. ولا شيء يمكنه أن يكون محمِّسا أكثر لكبرياء البربر الوطني .

وفي سبيل إنجاز هذا البرنامج الثوري، اغترف يونس من العمق الثقافي المكتسب في الشرق. ولم يكتف، بغية الانتصار، باستحضار مواهبه التنجيمية فقط، وإنما استدعى بكيفية خاصة قدرته الجدالية كذلك. فسجاله ضد الاسلام يذكر بكيفية مذهلة بسجال الاسلام ضد الديانات اليهودية - المسيحية، وينضوي بدقة ضمن المحيط نفسه. لم ينكر نبوة **محمد** ومجموع الإرث التوراتي. والأصح أنه اقتفى الأثر نفسه. ولكن بتأويل مختلف للنصوص. فقد أكد أن **محمد** نبي حق، غير أنه أرسل إلى العرب خاصة[85]. فما الدليل؟ إنه موجود في الكتابات العربية وفي القرآن،وهاهو : «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم»[86]. ويترتب منطقيا على ذلك أن نبي البربر لن يعرف التكلم إلا باللسان البربري. لا يمكنه أن يكون **محمد**. إنه **صالح**. والدليل موجود كذلك في الكتابات العربية، وفي القرآن الذي ذكر فيه **صالح** اسميا . ولنتذكر الآية التالية : «وإن تظاهرا عليه فإن الله مولاه وجبريل وصالح المومنين والملائكة بعد ذلك ظهير»[87]. وقد صارت عبارة "صالح المومنين" روح القدس في سجالات البرغواطيين ضد الاسلام. وهذا الدليل هو بكيفية خاصة ماكان يدلي به **أبو صالح زمور** الذي بُعث سفيرا إلى قرطبة. وبما أن جميع الديانات الكبرى المندرجة ضمن التيار التوراتي تقدم نفسها كديانات أعلن عنها الأنبياء السابقون، فلم يكن المذهب البرغواطي يريد خرق القاعدة. إذ اتبع **صالح** أثر **يسوع** و**محمد**، ومثلهما أخبرت به الكتب. كما ينبغي أن يكون الأخير أيضا. إنه يحمل في اللسان البربري اسم وارإياوارا[84] - ومعناه الذي ليس بعد أحد - وإليه سيعود الفضل الأعظم في تشييد مملكة الله فوق الأرض. هكذا تلتقي المثاقفة والكبرياء الوطني .

وقد نزل على صالح بالطبع قرآن باللسان البربري، يشمل ثمانين سورة مقابل أربعة عشر ومائة بالنسبة لمنافسه ونموذجه العربي. ومثلما

لاحظنا سابقا، فإن القرآن المنسوب إلى **صالح** يفتقر كليا إلى الأصالة إذا حوكم بعناوين بعض السور (أيوب،يونس،فرعون،ياجوج وماجوج، العجل، الحنش... إلخ) وبالمقتضيات التي احتفظ لنا بها **البكري** (89). وتقع أهميته في مكان آخر، ذلك أن صاحبه كان «مضطلعا بلغات البربر» التي يعرف منها أكثر من لسان (يفهم غير لسان من ألسنتهم)(90). ومن ثم كان نصه ينافس القرآن، ليس بمضمونه فحسب، وإنما باتقان أسلوبه كذلك. ولم يكن بإمكانه ألا يضع في اعتباره خصوصيات مختلف ألسنة الناس الذين كان موجها إليهم. بل اقتضى أن يصاغ ضمن لهجة مشتركة بهذا القدر أو ذاك بين مختلف القبائل المجتمعة في مملكة تامسنا، والتي لم تكن - كما رأينا - من نفس الأرومة الإثنية. وعليه، لو أن التجربة نجحت كليا، لتوفر البربر دون شك على لغة وطنية موحدة ومكتوبة يحتمل أن تتبع تطورا شبيها بتطور العربية. والواقع أن القرآن المنسوب إلى صالح شكل في منظور البرغواطيين أثرا مقدسا وموضوع احترام ودراسة(91) يحفظونه عن ظهر قلب،ويرتلونه كذلك في صلواتهم .

كان البرغواطيون يصلون كثيرا : خمس صلوات في اليوم وخمس أخر في الليلة. وكانوا يباشرون وضوءا مبالغا فيه مبتدئين بالسرة والأوراك؛ وكانوا ملتزمين بصيام متواتر أسبوعيا، خارج صيام شهر رجب الذي حل حل صيام شهر رمضان؛ واستعاضوا كذلك عن صلاة الجمعة بصلاة الخميس؛ وطبقوا على السارق عقوبة القتل، وعلى الزاني الرجم، وعلى الكاذب النفي. وهذه الأمثلة وأخرى غيرها مما هو مجموع في المصادر (92)، تشير كفاية إلى استعارتها من الإسلام، وتشير خاصة إلى انشغالها بتقديم ما هو أفضل. ويذهب المذهب البرغواطي بعيدا جدا في طريق المتطلبات والصرامة. ولم يكن ذلك إلا ليزيد المومنين به فخارا. وكل شيء يتم كما لو أن البربر كانوا يتطهرون من عقدهم تجاه

العرب بكثرة المآثر الثقافية والصرامة الأخلاقية. إن النزعة الوطنية المتفاقمة تستحق وتشترى. ولن نذهب إلى حدود التأكد من أن البرغواطيين كانوا في صلواتهم يرتلون نصف قرآنهم وقوفا ونصفه الآخر ركوعا[93]، فهذا صنيع يبدو مستحيلا جسديا .

والآن، ما البربري الذي يتبقى شرعيا في هذه الديانة التي تدعي بصفة عامة تحدي الاسلام؟ بشكل متناقض تماما لا شيء، أولا شيء تقريبا : تعدد لا محدود للزوجات بلا قيد آخر بالنسبة لعدد الزوجات سوى القدرات الجسدية والمالية للزوج؛ وبعض التحريمات الغذائية الإضافية التي طالت بكيفية خاصة رأس كل حيوان والبيض والدجاج ما عدا في حالة الضرورة القصوى؛ وكذا بعض الطرائق السحرية من المعالجة باللُّعَاب[94]. ومن جديد، نستبعد كل إبداع راهن أو تأثير، ما لم نتأكد من أن هذه العادات جميعا كانت بربرية .

إن أهمية المذهب البرغواطي تتموقع فيما وراء خرافاته وسذاجاته. وإذا رغبنا عن السخرية منه، وأردنا استيعاب دلالته التاريخية، فمن الواجب إضاءته بطريقة مغايرة. وسنرى حينها نمطا من التحرر الوطني في العصر الوسيط. وأفضل تشخيص - في مجموع الغرب الإسلامي[95]- للمثاقفة الدفاعية التي تغترف من ترسانة العدو أسلحة التحرر الوطني التام . إنه يشكل ذروة تطور كامل ونتيجتَه النهائية . فالمذهب الصفري كان قد أتى قبلا بالتحرر السياسي. وبرغم إخفاقه الشامل على صعيد المغرب،فقد شكل في الواقع قاعدة تأسيس مملكة تامسنا تحت حكم سلالة **بني طريف** المستقلة تماما. ومن ثم كان الانتصار على الصعيد المحلي شاملا مبدئيا، وبدا أن الطموحات البربرية تم إرضاؤها بكيفية تامة. ولا شيء يتيح قبليا التكهن بالتطور اللاحق .

وضمن هذه الشروط وخارج التأثيرات الواردة أو التي مارسها

يونس الذي كـان أداة التـحول، لا يمكن تـفسـير هذا التطور إلا بصـفـتـه مرحلة ثانية وحاسمة أكثر في التحرر الثقافي. ومنذ ذلك الوقت، لم تعد البدعـة كافية بالطبع. وحينها كان شعب العالم الثالث قد تحرر منذ عهد قـريب تحررا نسـبيا بمساعدة متحررين من ضمن الخصوم القدماء، أما الشعب البرغواطي فـقد أحس بكيفية مرتبكة - ولو لم يكن ذلك دون مقاومة وتمزق داخلي بلغ حدود المجازر بين الإخوة - بالحاجة الملحة لقطع آخر علاقات التبعية المذهبية، من أجل الاسترداد المعنوي الشامل وحيازة الكرامة التامة. ألم يكن البرغواطيون يدركون جيدا أنهم والحالة هذه لا يقومون - في سبيل كنيستهم الوطنية - إلا بمباشرة ترجمة بربرية مجمَلها متطرف في يسار الشعائر التي تم تلقينهم إياها ؟

يقينا لا . والأحرى أنهم كانوا يملكون الوعي الناضج بأنهم يبلغون بهذه الطريقة، من الباب الواسع ودون وساطة الإسلام المستَلِبة،جوقة الديانات السماوية الكبرى،بل وضمان مركز الصدارة في الطاولة الكتابية. كان نبيهم هو **وارإياوارا** ، **ويسوغ** سيصلي خلفه، سينتقلون من مـؤخـرة القطر إلى مـقـدمـة الركب. لقـد خـرجـوا إن صح القـول من التخلف،واسترجعوا بكيفية تامة وكلية كرامتهم الوطنية.

هوامش

1- ابن عذاري (*البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، 1، 56) كتب تحت سنة 124 : وفيها كان ظهور برغواطة. والمؤلف الغفل *مفاخر البربر*، ص 47 . يضع هذا الحدث في سنة 127، ويضيف في خلافة هشام بن عبد الملك. غير أن الأخير توفي يوم 6 ربيع الثاني 125هـ/ 6 فبراير 743، وهو ما يعزز التاريخ الذي قدمه ابن عذاري. وقد صمد البرغواطيون أمام العديد من غارات أعدائهم. وعبد الله بن ياسين الزعيم الروحي للمرابطين، مات وهو يحاربهم سنة 451/ 1059 . وبعد ما يقرب من قرن كبدوا هزيمة كاوية لأبي حفص عمر، قبل أن يستسلموا نهائيا لعبد المومن بن علي. أنظر : محمد عبد الله عنان، *عصر المرابطي والموحدين*، I،37،260، 273، 279 . وانظر كذلك ليفي بروفنسال *Documents inédits d'histoire almohade*، 106/176، 107/177، 109/180 .

2- ابن خلدون، *العبر وديوان المبتدأ والخبر*، بيروت 1959، ج 6، ص 428 .

3- حسب *مفاخر البربر*، منشورات ليفي بروفنسال، *شذرات تاريخية*، الرباط 1934، ص 47. كان البرغواطيون من بربر زناتة. وابن خلدون (*العبر*،6،434-435) يدحض هذا الرأي ويؤكد أنهم قبيلة من المصامدة كما يتضح من المجال الجغرافي الذي كان مرتعا لهم في العصر الوسيط. وشاطره هذا الرأي ابن حزم (*جمهرة الأنساب*، منشورات ليفي بروفنسال، القاهرة، 1948،466) . وعلى النقيض من ذلك، يخبرنا البكري (*المسالك والممالك*، تر. ده سلان، 140/270) على لسان زمور، الإمام الأكبر للبرغواطيين، أن هؤلاء لا يشكلون

قبيلة بمعنى الكلمة. وإنما يضمون عناصر عديدة من عدة قبائل متنافرة . وسنعود إلى هذه المسألة .

4-ابن حوقل، *صورة الأرض*، مكتبة الحياة، بيروت، دون تاريخ، ص83؛ البكري ، *المسالك والممالك* ، 140/ 268؛ ابن عذاري، *البيان المغرب*، ليدن، 1848، ص 227.

5- إضافة إلى الإحالات التي أشار إليها ر. لوتورنو في مادة برغواطة، ضمن *الموسوعة الاسلامية*، نذكر سعد زغلول عبد الحميد، *تاريخ المغرب العربي*، القاهرة، 1965،ص 43، 254- 256، 341، 416- 417؛ محمد عبد الله عنان، *دول الطوائف*، ط2، القاهرة، 1970، ص 304- 308؛ *عصر المرابطين والموحدين*، ج1 ،1964، ص 37، 260، 273، 279؛ الناصري، *الاستقصاء*، الدارالبيضاء، 1954 ، 102،1- 104، و2، 13- 18؛ هـ. تيراس، *تاريخ المغرب*، الدار البيضاء، 1949ة ج 1، 128- 130؛ شار أندريه جوليان، *تاريخ شمال افريقيا* ، باريس، 1956، ج2، 39- 40؛ ليفي بروفنسال، *تاريخ إسبانيا المسلمة*، باريس - ليدن، 1950، ج1 . ص 41، 113، 248، وج 2 . ص 81، 189 - 190، 261- 262، 273 .

6- ج . مارسي، "إله الإباضيين والبرغواطيين:، ضمن *Hespéris*، 22 (1936)، 1- 33 يشترك في وجهة النظر هذه جميع الباحثين الذين اهتموا بالبرغواطيين . انظر الهامش السابق فيما يخص الإحالات.

7- ابن حوقل، *صورة الأرض*، ص 83 .

8- *المسالك*، 134- 137/ 259-264،138- 141 .

9- *العبر*، 6، 428-436 .

10- *البيان*، 1، 223- 225 و 226- 227 .

11- *المسالك*، ص 137- 138/ 264- 266.

12- *البيان*، 1، 225-226 .

13- يتعلق الأمر بكتاب نظم *الجمان* الذي وصلنا منه جزء واحد فقط، منشورات محمد علي مكي. عاش ابن القطان كذلك تحت حكم الموحد المرتضى (646-665/1248-1266) .

14- البيان، 1، 56-57 .

15- منشورات ليفي بروفنسال تحت عنوان شذرات تاريخية،ص 47 .

16- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ترجمة تورنبرگ، أو بسلا. 1843- 1846، ص 82-84/112-114 .

17- *وصف افريقيا*، ترجمة. إ. إيولار، باريس، 1956، 1، 157-162.

18- *حاميم*، نبي غمارة، ظهر في منطقة طنجة بين 313/ 925 و 315/ 927، ولم تجد حركته التي أخمدت بسرعة أي صدى. انظر ابن عذاري، البيان، 1، 192؛ وابن خلدون، *العبر*، 6، 444-446 .

19- انظر *الموسوعة الإسلامية*، مقال ليفي بروفنسال .

20- ليفي بروفنسال، *تاريخ اسبانيا المسلمة*، 1، 16 .

21- البكري، *المسالك*، ص 135/ 260؛ ابن عذاري، *البيان*، 1، ص57 و 224 .

22- انظر . مارسي، سيدي عقبة، "أبو المهاجر وكسيلة"، ضمن *دفاتر تونس*، 1، (1953)، ص 11- 18 .

23- انظر بخصوص هذه المسألة: محمد طالبي، *إمارة الأغالبة* باريس، 1966، ص 21-41 .

24- ابن عذاري ، *البيان*، 1، ص57 .

25- انظر الهامش 1 .

26- انظر *الموسوعة الإسلامية*، طريف، مقال ليڤي بروفنسال .

27- البكري، *المسالك*، ص 135؛ ابن عذاري، *البيان*، 1، ص 56، 223؛ ابن أبي زرع، *الأنيس المطرب بروض القرطاس* (...)، ص 83/ 113. يدحض ابن خلدون هذا الرأي ويعتبره "من الأغاليط البينة" طبقا لنظريته في *العصبية* التي تقتضي صفاء النسب لبلوغ السلطة :"ولا يتم الملك والتغلب على النواحي والقبائل لمنقطع دخيل في نسبه" (*العبر*، 6، 435).

28- انظر پ. مونسو،"الجاليات اليهودية في افريقيا الرومانية" ضمن *مجلة الدراسات اليهودية* (1904) ص1- 28 . وأعيد طبعه ضمن *دفاتر تونس*، 18(1970)، ص 159- 184. وانظر كذلك مارسيل سيمون "اليهودية البربرية في افريقيا القديمة" ضمن *مجلة التاريخ والفلسفة الدينية*، ستراسبرگ 1946، ص 1- 31 و 105- 145. ونقرأ فيه بشكل خاص :«ليس من الإفراط أن تشاء الصدفة العثور في افريقيا تحديدا، في وليلي، على أقدم نقش عبري معروف حاليا خارج فلسطين: شاهدة قبر ماطرونا بنت رابي يهودا» (ص26- 27). وحسب ابن خلدون (*العبر*، 4، 24) حارب ادريس الأول ضد الوثنية (المجوسية) واليهودية والمسيحية التي كانت منتشرة في بعض القبائل مثل گندلاوة وبهلوانة ومديونة.

29- *العبر*، 6، 214 .

30- ضمن *المسالك* للبكري، ص 138؛ *والبيان* لابن عذاري، 1، 225-226 .

31- ص 47 .

32- *الأنيس المطرب بروض القرطاس*، ص 83/ 113 .

33- *العبر* ، 6، 435 .

34- *غمارة* ، 466 .

35- *الكامل*، القاهرة ، 1357/ 1938، 4، 251 .

36-انظر ج. مارسي، "إله الاباضيين والبرغواطيين" ، ضمن *Hespéris*، 22 (1936)، العمود 1، ص 35، الهامش 1 .

37- انظر الهامش 3 .

38- البكري، *المسالك*، 140-141. ابن خلدون، الذي يتابع مع ذلك البكري (انظر *العبر*، 6،429) يروي هذا المقطع بطريقة محرفة تماما (*العبر*، 6، 432) .

39- *العبر*، 7، ص 14، 103، 11، 108 و 103-104 .

40- *العبر*، 6، 261 .

41- *العبر* ، 6، 250 .

42- البكري، *المسالك*، ص 141 .

43- البكري ، *المسالك*، ص 135. ويجب أن نلاحظ في هذا الشأن أن ليفي بروفنصال يشدد على «أن البربر الذين قدموا أكثر المهاجرين إلى اسبانيا، هم بربر الجماعة الاثنية الزناتية...» *تاريخ اسبانيا المسلمة*، 1، 87 .

44- *العبر* ، 6، 435 .

45- البكري، عن أبي صالح زمور، *المسالك*، ص 135؛ وابن عذاري، عن نفس المصدر، البيان، 1، 223 .

46- *المسالك*، 135-136/ 260-261 . ابن عذاري (*البيان*، 1، 224) يورد نفس الرواية بطريقة مختصرة شيئا ما ،ومع جزئية إضافية تتعلق بميلاد صالح الذي وضع في سنة 110/ 729-730.

47- إشارة إلى الآية الرابعة من سورة التحريم: «إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما، وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المومنين والملائكة بعد ذلك ظهير» .

48- شخصية خرافية في الميثولوجيا العربية. عاشت قرونا عديدة، وتكهنت بنبوة محمد، وعند ولادة الأخير، كانت لا تزال قيد الحياة.وكانت تكهناتها شهيرة. انظر *الموسوعة الإسلامية*.

49- ابن عم الرسول ومفسر مشهور للقرآن،وتحت كفالته يتم بشكل عام ترويج العديد من الأساطير .

50- هذه العبارة، وحدها تبدو بربرية، والعبارات السابقة كلها عبرية . ج. مارسي ("إله الإباضيين والبرغواطيين) يقرّبها من البربرية الحالية في المغرب الأوسط: وير إلياغو،ومعناه "الذي ليس له أخلاق" .

51- ابن عذاري، عن أبي صالح زمور، *البيان* ، 1 ، 224. وفي *المسالك* (ص 135) للبكري نقرأ : «قال زمور كان موت صالح بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بمائة عام سواء». ويتعلق الأمر بخطإ واضح. ويجب استبدال موت صالح *بمولد* صالح. وهو ما يعيدنا إلى التاريخ الذي قدمه ابن عذاري .

52- يقال لنا بالفعل إن خامس أمراء الأسرة المالكة - أبو غفير،وفق ابن عذاري وابن حوقل، وأبو غفير وفق البكري- مات سنة 300 بعد حكم دام تسعة وعشرين سنة. وسلفه يونس حكم أربعين أو أربعة وأربعين سنة. وإلياس الذي خلفه هذا الأخير، خمسين سنة .(ابن عذاري،

البيان، 1، 224؛ البكري، *المسالك*، ص 136).غير أن ابن خلدون (العبر، 6، 429-430) وفي أثره الناصري (الاستقصاء، 2 ، 14-16) يقدمان التواريخ التالية :صالح (127-174)، إلياس (174-224) يونس (224-268). والحسابات التي انكب عليها ابن عذاري انطلاقا من سنة 173، على اعتبار أنها سنة إعلان الدين الجديد، خاطئة بكيفية واضحة (*البيان*، 1، 54، وفق ابن القطان) .

53- *البكري*، *المسالك*، ص 135 .

54- *البكري*، *المسالك*، ص 136 . وانظر كذلك ابن عذاري، 1، 224 .

55- *البكري*، *المسالك*، ص 136 .

56- *العبر* ، 6، 428 .

57- *المسالك*، ص 137- 138 .

58- *البيان* ، 1، 225- 226 .

59- البكري، *المسالك*، ص 137. دسلان (ص 264) ينقل :«يونس الذي كان أول من دعم بالسلاح دين البرغواطيين...» .

60- هذا التاريخ قدمه بشكل خاص ابن عذاري (*البيان*، I ، 225) . ومن الأكيد أن تناسي الناسخ جعلها تختفي من نص البكري، الذي يمكننا إعادة كتابته بالشكل التالي : وكان قد رحل إلى المشرق في عام واحد [ومائتين] مع عباس بن ناصح... (*المسالك*، ص 137). وإعادة كتابة هذا النص يتطابق بدقة مع نص *البيان* .

61 - البكري وحده (*المسالك*، ص 137) قال إن ثلاثة أعضاء من الجماعة، وضمنهم يونس، ادعوا النبوة، وهذا مستبعد جدا . ولم يتحدث ابن عذاري (*البيان*، I،225) إلا عن نبوءة يونس. ويجب أن يتعلق الأمر

بنص مدسوس في نص البكري .

62 – يذكر عياض مرة أولى شخصا يدعى عباس بن ناصح، يصفه بأنه أندلسي، ضمن الذين كانوا قد درسوا كتاب *الموطأ* تحت إشراف مالك (*المدارك*، بيروت، 1967،I، 203)؛ وذكر مرة ثانية عباس بن ناصح الجزري ضمن مريدي مالك الذين كانوا أصغر من شيخهم (*المدارك* I، 272).

63 – ابن عذاري، *البيان*، I، 212 .

64 – ابن عذاري، البيان، I، 225. والبكري. (*المسالك*، ص 137-138) يضيف أن يونس درس علم الكلام والجدال عن غيلان،وهو أمر مستحيل تاريخيا. إذ أن غيلان الدمشقي كان بالفعل قد نكل به في زمن غير محدد، على عهد هشام بن عبد الملك (6 ربيع الثاني 6/125 فبراير 743) بسبب أفكاره عن الاختيار الحر (القدر) (الأشعري، مقالات الاسلاميين، منشورات هـ. رايتر، ويزبادن، 1963، ص 136-137؛ *والطبري*، التاريخ، طبعة القاهرة 1969، 7 ، 203 . ابن حوقل (صورة الأرض، ص 82، وابن خلدون (العبر، 6، 425) وبعده الناصري (الاستقصاء، 2، 14)، ينسبون لصالح – يدعوه ابن حوقل صالح بن عبد الله– ماقاله لنا البكري وابن عذاري عن يونس مع اختلاف بسيط قائم في أن اسم غيلان يحل محله عند ابن خلدون اسم عبد الله المعتزلي الذي يدعوه الناصري عبيد الله. أما ابن حوقل فلا يتحدث عنه إطلاقا. ويشخص جميع ما ذكر التباسات المصادر التي نعتمدها.

65 – تبعا للتقاليد الممتدة إلى أبي صالح زمور، كان يونس قد أباد 387 قرية وقتّل 7780 شخصا،وهو ما يبدو مبالغا فيه. انظر *البكري*، المسالك ص 136، ابن عذاري، *البيان*،I،224 (حيث نقرأ 800 قرية وهو يعود بالتالي إلى خطأ الناسخ)؛ وابن خلدون، العبَر، 6 ، 430 .

66 - تبعا لرواية أبي صالح زمور، ضمن البكري، المسالك، ص 136-137، ابن عذاري، البيان،I، 224؛ وابن خلدون، العبر، 6، 430 . نقرأ في *البيان* تمعزى محل تمغسن. أما فيما يخص أبا غفير فهو حفيد يونس.واسمه الكامل هو : أبو غفير (أو عَفير) يحمد (أو محماد) بن مَعاد (أو معد) بن اليساع بن صالح بن طريف. وقد تم كذلك استحضار مآثره العسكرية أيضا، ولكن بعتاب في قصيدة سعيد بن هشام المصمودي التي أوردها بصيغ متغايرة جدا أبو العباس المذحجي والبكري، *المسالك*، ص 138 وابن عذاري *البيان*، I ،226 وابن خلدون، العبر، 6، 431 .

67 - وحدها الرواية التي قدمها ابن حوقل، (*صورة الأرض*، ص 82) تبدو مقدما وكأنها تطمئننا على أن صالح ادعى النبوة في حياته. وعند الفحص ندرك سريعا أن يونس يختفي تحت اسم صالح. إن النسب في الواقع مغلوط فيه بكيفية جلية. إذ أن الشخصية تدعى صالح بن عبد الله، في حين أنه ابن طريف. وكل ما قاله لنا ابن حوقل عنه لا علاقة له بصالح بن طريف،ويتطابق تماما مع ما قيل لنا عن يونس . وأخيرا يقول لنا ابن حوقل أنه ترك السلطة بعد موت وارث معين بوصية يدعى أبو عفير (= أبو غفير). والحال أن الأخير تَبِع يونس .

68 - *العبر* ، 6 ، 429 .

69 - تبعا لرواية أبي العباس المذحجي ضمن البكري، *المسالك*، ص 138؛ ابن عذاري، *البيان*، I، 226؛ وابن خلدون، العبر، 6، 431. والواقعة نفسها يوردها ابن حوقل في *صورة الأرض*، ص 83 .

70 - البكري، *المسالك*، ص 138. ابن خلدون، *العبر* 6، 432. أبو منصور الذي أرسل سنة 352/ 963 أبا صالح زمور سفيرا إلى قرطبة، هو نفسه ادعى النبوة .

71 - طبقا لرواية أبي صالح زمور، ضمن البكري، *المسالك*، ص 135، وابن عذاري، البيان، I، 224 .

72 - أبو صالح زمور ضمن البكري، المسالك، ص 136؛ ابن عذاري، البيان ، I، 224، وابن خلدون، العبر ، ص 6 ، 430 .

73 - صورة الأرض، ص 82 .

74 - محمد الطالبي، *سير أغاليبية مستخلصة من مدارك القاضي عياض*، منشورات تونس، 1968، ص 44،وانظر كذلك محمد الطالبي، إمارة الأغالبة، باريز، 1966، ص 20 .

75 - البكري، *المسالك*، ص 136 .

76 - ابن حوقل، *صورة الأرض*، ص 83 .

77 - البكري، *المسالك*، ص 135؛ ابن عذاري، *البيان*،I ، 224-225؛ ابن خلدون، *العبر*،6، 429-432 .

78 - محمد الطالبي، إمارة الأغالبة، ص 572-573

79 - البكري، *المسالك*، ص 135-136؛ ابن عذاري، البيان،I، 224 . وبخصوص سطيح انظر .E.I.s.v

80 - البكري، *المسالك*، ص 139؛ ابن عذاري البيان،I، 227 .

81 - *وصف افريقيا الشمالية*،ترجمة مسالك البكري،ص 267، الهامش2

82 - مقالة في تاريخ النزعة الإسلامية ،ترجمة شوفان، ليدLeyde، 1879، ص 384 .

83 - «إله الإباضيين والبرغواطيين» ، ضمن هسبريس، 12 (1936)، I ، ص 46-55 .

84 - بخصوص هذه الأحاديث ينظر "تاريخ أبي زكرياء" ترجمة Le Tourneauضمن *المجلة الافريقية* (1960)، 106-109 . حيث نقرأ مثلا أن النبي تلقى من جبريل هذا الإنذار :"أنصحك يا محمد أن تخشى الله والبربر" (ص 107). ولا يمكن بالطبع القيام بما هو أكثر من وضع الله والبربر ضمن المستوى نفسه.

85 - ابن حوقل، صورة الأرض، ص 82.

86 - القرآن، 14 ، 4، ترجمة بلاشير. انظر ابن حوقل، صورة الأرض، ص 82 .

87 - القرآن. لقد وردت هذه الآية في سياق يتعلق فيه الأمر بخلاف بين النبي ونسائه المعنيات بالخطاب هنا. وعبارة "صالح المومنين" تعني في هذا السياق «كل مؤمن صالح». انظر ابن حوقل، *صورة الأرض*، ص 82؛ البكري، *المسالك*، ص 135؛ ابن عذاري، *البيان*،I، 57 ، 224؛ العبر، 6، 429 .

88 - انظر الهامش رقم 5 !!؟

89 - *المسالك*، ص 138، 140؛ وانظر كذلك ابن عذاري، البيان،I، 227؛ ابن خلدون، العبر، 6 ، 429؛ ابن أبي زرع، الروض، 84/ 114؛ وابن حوقل، *صورة الأرض*، ص 82 . سعد زغلول (تاريخ المغرب العربي، ص 418 الهامش 1) يشك دون مبرر في أن البورغواطيين قد ألهموا بقرآنهم الخاص. ويعتقد أن الأمر يتعلق بالأحرى بترجمة القرآن العربي . وهذه الترجمة، أو الأولى هذا الشرح، قد وجدت فعلا ورافقت جهود هدي البربر . ووجوده لم يكن بالتأكيد عائقا أمام ولادة القرآن البربري، بل إنه يفسره فوق ذلك .

90 - ابن حوقل، *صورة الأرض*، ص 82 .

91 - ابن حوقل، *صورة الأرض*، ص 82 .

92 - البكري، *المسالك*، ص 138-139؛ ابن عذاري، *البيان*،I، 226؛ ابن أبي زرع، *الروض*، ص 84/ 114. وتبعا لابن حوقل (صورة الأرض، ص 82) فإنهم كانوا يصومون شهر شعبان عوض رمضان .

93 - البكري، *المسالك*، ص 139؛ ابن عذاري، *البيان*،I، 226 .

94 - البكري، *المسالك*، ص 139-140، ابن عذاري، *البيان*،I، 227؛ ابن خلدون، *العبر* ، 6 ، 431 .

95 - الحركات النبوية الأخرى انطفأت بسرعة. فباستثناء نبوءة حاميم التي أشرنا إليها في السابق، فقد ظهر في اسبانيا نبي آخر مزعوم،وصُلِبَ سنة 851 (ابن عذاري *البيان*،II، 92) .

ابراهيم خلف العبيدي

البورغواطيون في المغرب
(127 ـ 542 هـ)

برغواطة

ظهر البرغواطيون على المسرح السياسي في أوائل القرن الثاني الهجري واستمروا حتى منتصف القرن السادس الهجري. ولعبوا دورا فعالا في الحياة السياسية المغربية. فلم يتمكن الأدارسة ولا الدول الأخرى التي ظهرت في المغرب من القضاء عليهم حتى ظهر المرابطون. فمن هم؟ وما هي عقيدتهم؟ وكيف ولماذا صمدوا بوجه أعدائهم؟ ما هي علاقاتهم بالدول الأخرى؟ إنها أمور يكتنفها الغموض والتناقض.

إن هذا الغموض والتجاهل من قبل المؤرخين القدامى يفرض واجبا على المؤرخين المغاربة بشكل خاص والمؤرخين العرب بشكل عام البحث بشكل علمي وموضوعي للكشف عن الحقيقة وإزالة الغموض، غير أن الذي يتصدى لهذا الموضوع في الوقت الحاضر يلاقي عدة صعوبات،منها عدم وجود كتابات تاريخية تعبر عن وجهة نظر البرغواطيين فهي في طي الكتمان. والمصادر القديمة تعبر عن وجهة نظر معادية إلى جانب الاضطراب. أما الكتابات الحديثة فقد زادت المشكلة تعقيدا لكثرة التفسيرات التي لا تستند في كثير من الأحيان إلى أسس صحيحة.

إن المصدرين الأساسيين عن البرغواطيين واللذين نقل عنهما القدامى والمحدثون هما ابن حوقل والبكري. فالأول شاهد عيان زار المنطقة في منتصف القرن الرابع الهجري.وسجل أخبار عقيدتهم ووصف طباعهم وصفا أفاد في تصحيح بعض المعلومات.، إلا أنه دون معلوماته على عجل وبعضها سمعها من آخرين، لذلك جاءت معلوماته خاصة فيما يتعلق بالعقيدة مضطربة.

أما البكري الذي عاصر الدولة في سنينها الأخيرة فقد استمد معلوماته من سفير البرغواطيين إلى الحكم المستنصر سنة 352 ويدعى أبو صالح زمور بن موسى بن هشام بن وارديزن. ولم يتلق البكري به بل سمع عن شخص آخر كان مترجما للسفير وهو أبو موسى عيسى بن داود بن عشرين السطاطي من أهل شالة . وهو مسلم من بيت خيرون بن خير[1]. واستند البكري إلى شخص آخر هو فضل بن مفضل بن عمرو المذحجي، ولم يحدد لنا هويته. وهناك تضارب بين الروايتين لم يحاول البكري تحقيقهما أو تفضيل احديهما على الأخرى .

وأخذ عن البكري المؤرخون اللاحقون [2] دون إضافات بل حاول بعضهم التوفيق بين روايتي زمور والمذحجي. ولم يدل المؤرخون المشارقة بدلوهم في هذه المسألة بل أحجموا عن الكتابة عنها .

وقد حاول بعض المؤرخين المحدثين [3] الخوض في غمار هذا الموضوع لمعرفة أصول عقيدة البرغواطيين ودورهم السياسي ومن أبرزهم الدكتور محمود اسماعيل، الذي كتب دراسة جيدة عن المسألة البرغواطية نشرها في كتابه (مغربيات ،دراسات جديدة). وقد جمع نصوصا كثيرة عن المسألة، وناقش الذين حاولوا جعل الديانة البرغواطية نتاجا لعقائد هيلينية أو يهودية أو مسيحية وفند هذه الآراء بروح علمية. وأكد أن دراسات المحدثين لقيت مزيدا من الغموض حول المسألة البرغواطية. غير أنه وقع في نفس الخطأ وأضاف أنه تبنى فكرة (صفرية العقيدة البرغواطية) من الأساس وأراد الوصول إلى هذه الفرضية التي يعتبرها حقيقة بأية وسيلة، فجمع النصوص التي تخدم هدفه وحمل النصوص الأخرى أكثر مما تتحمل ودون الأخرى ناقصة إذا لم تسعفه. ومن المعروف في الدراسات التاريخية أن الخطأ في البداية يقود إلى الخطإ في النهاية. وسأحاول إيضاح هذا الاضطراب خلال البحث . ولكن

هذا لا يعني التقليل من أهمية الدراسة. فهي أول دراسة جامعة متكاملة عن الموضوع .

وسأحاول في هذه الصفحات استقراء تاريخ البرغواطيين محاولا التعرف على عقيدتهم،وسني حكم أمرائهم،ونشاطهم مما يتوفر من مصادر ومراجع .

التسمية

اختلف المؤرخون حول اسم برغواطة. هل هم من زناتة؟ أم خليط من العناصر. أم أنها تسمية لا تمثل قبيلة بعينها ؟

فيرى البكري أن إقليم تامسنا كان مرتعا لقبائل زناتة وزواغة[4]. ونجم عن هذا التصور خلاف المؤرخين اللاحقين حول أصل البرغواطيين. فصاحب كتاب الاستبصار يقول انهم (كانوا قوما جهالا من زناتة[5]). ولم ينسبها ابن عذاري لزناتة وأكد أن برغواطة من قبائل البربر [6]. كذلك ابن حوقل فإنه قال (قبيلة برغواطة من قبائل البربر على البحر المحيط [7]) .

ويرى البعض الآخر، بأنه لم يكن اسما لقبيلة معينة يجمعها أصل واحد وأب واحد بل كان اسما لاخلاط من البربر اجتمعوا على شخص يهودي الأصل ادعى النبوة وهو صالح بن طريف بن شمعون البرباطي نسبة إلى الموطن الذي نشأ فيه وهو برباط بالقرب من شريش جنوب الأندلس. وسمي من اتبع هذا الدين بربطي نسبة إلى بربط، فعربت العرب هذا الإسم وقالوا برغواط وبرغواطي وأضافوا إليها هذا الجمع فصارت برغواطة [8].ويضيف ابن دحية أن الإسم الحقيقي بلغواطة،وأن مفردة برغواطة باللام بدل الراء، وأن العامة يخطئون فيها فيقولون برغواطة[9].ويبدو أن هذا المبرر للتسمية جاء من حيث الصورة اللفظية.

ويخالف ابن خلدون هذا الرأي الذي أورده عن صاحب كتاب نظم الجوهر،مؤكدا بأن برغواطة قبيلة من المصامدة، وهم الجيل الأول منها. وكانوا المتقدمين منهم قبيل الإسلام،وكان لهم في صدر الإسلام التقدم والكثرة وكانوا شعوبا كثيرة متفرقين وكانت مواطنهم في بسائط تامسنا وريف البحر المحيط من سلا وآزمور وآنفي وآسفي. وكان كبيرهم الأول المائة الثانية من الهجرة طريف أبو صالح.

ويضيف ويغلط بعض الناس في نسب برغواطة هؤلاء فيعدهم من قبائل زناتة وآخرون يقولون في صالح أنه يهودي وهو من الأغاليط البينة وليس القوم من زناتة ويشهد لذلك كله موطنهم وجوارهم لإخوانهم المصامدة. أما صالح بن طريف فمعروف فيهم وليس من غيرهم ولا يتم الملك والتغلب على النواحي والقبائل لمنقطع جذمه دخيل في نسبه (10).

ويحسم هذا النص الخلاف حول أصلهم . غير أن قول ابن خلدون أنهم شعوب كثيرة متفرقة وإشارة المؤرخين الآخرين إلى أن برغواطة ليست اسما لقبيلة معينة دفع البعض أمثال عبد الوهاب بن منصور إلى التأكيد بأن الكلمة ليست لها دلالة سلالية وإنما تدل على نحلة دينية أطلقت على القبائل التي اتبعتها فقيل لها برغواطة كما يقال للشيعة والخوارج والمعتزلة(11).وهو رأي جدير بالملاحظة .

غير أن نص ابن خلدون الصريح واعتماده من قبل عدد من المؤرخين يجعلنا نميل إليه لأنه أقرب إلى المنطق إذ لا يمكن لهذه القبائل اخضوع لسلطة صالح،كما أن المؤثرات البرغواطية ظلت واضحة في مناطق المصامدة. ويؤكد ذلك الدكتور ابراهيم حركات بقوله : إني أرجح تأكيد ابن خلدون لأن بعض المؤثرات البرغواطية ظلت حتى يومنا هذا في بعض مناطق المصامدة الجنوبية مثل كراهية أكل البيض ووجود عدد كبير من المتضلعين في العرافة والسحر والاعتماد على التمائم والرقي في العلاج وطرد الشر (13) . ويقسم جورج كولان المصامدة إلى ثلاث مجوعات الأولى في الشمال من البحر المتوسط إلى سبو وتسكن فيه غمارة، والثانية في الوسط من سبو إلى أم الربيع وتسكن برغواطة، والثالثة في الجنوب من أم الربيع إلى الأطلس تسكن مصمودة بالمعنى المحدد.. ومما يلفت النظر أن كل بطن من هذه البطون ولد حركة دينية وسياسية، فمصامدة الشمال ظهرت فيهم ديانة غمارة ومصامدة الوسط ظهرت فيهم ديانة برغواطة ومصامدة الجنوب ظهرت فيهم حركة الموحدين(14)

الموطن

نشأت هذه الامارة في إقليم تامسنا (15).وتسمى الآن الشاوية (16). وهي الأرض التي تبدأ من موضع مدينة الرباط الحالية وتمتد إلى ثغر فضالة (المحمدية الحالية) الذي كان قاعدة لأسطولها وتنتهي عند أزمور على مصب وادي أم الربيع [17] . ويضع ابن خلدون لها حدودا أوسع بقوله (تنزل جشم بتامسنا الافيح ما بين سلا ومراكش أوسط بلاد المغرب الأوسط وأبعدها عن الثنايا المفضية إلى القفار لإحاطة جبل درن بها[18]. وقد اتخذ البرغواطيون من مدينة شالة عاصمة لهم في بعض الأوقات واتسعت هذه الامارة على حساب المسلمين المجاورين لها، فهناك إشارات بأن البرغواطيين في أوائل القرن الخامس الهجري كانوا يعيثون فسادا في بلاد سجلماسة وأن الملثمين اللمتونيين خاضوا معهم في تلك الأماكن معركة فاصلة سموا على إثرها بالمرابطين [20] .

ومن خلال هذه النصوص يمكن القول أن الحدو د الجنوبية للبرغواطيين امتدت جنوب الشاوية على طول ساحل المحيط الأطلسي حتى شملت أقاليم دكالة وعبدة وغيرها من الأراضي الحوزية جنوب آسفي ونواحي مراكش. وانهم أرغموا سكان تلك البلاد من المسلمين على التدين بديانتهم[21]. ويؤيد ذلك ما رواه ابن الزيات عن رباط شاكر القائم بالقرب من مدينة مراكش في طريق الشماعية إلى شيشاوة من أن هذا الرباط بناه يعلي بن مصلين الرجراجي ليقاتل كفار برغواطة وقد غزاهم عدة مرات(22).فما يقال عن رباط شاكر يقال عن رباطات ماسة وفوز ونفيس التي انتشرت على السواحل في المنطقة الجنوبية[23].ويصور لنا العروي الحدود الجنوبية بأنها تبدأ من أغمات بمحاذاة تانسيفت وتنتهي إلى الرباط من كودة [24].

أمـا سلطتـهـا شمـالا فكانت تصل إلى مـوضع مـدينة الرباط الحالي،ويظهر من اسم هذه المدينة وتاريخها أنها كانت في الأصل رباطا لجهاد برغواطة، ويشير إلى ذلك ابن حوقل في القرن الرابع الهجري الذي يجعل مدينة الرباط حدا فاصلا تنتهي عنده عمارة الاسلام [25]. ويؤكد ذلك ابن الخطيب بقوله: أن البرغواطيين اتخذوا من شالة عاصمة لهم في بعض الأوقات [26].وهناك إشارات إلى أن أمراء برغواطة امتد نفوذهم إلى شمال الرباط وأنهم استولوا على مدينة المعمورة (المهدية الحالية) من أيدي بني يفرن الزناتيين حكام سلا وأنهم خربوها فيما خربوا من المدن [27].وبصورة عامة كانت الأراضي التابعة للبرغواطيين تتسع وتتقلص حسب الظروف السياسية .

ويظهر لنا أن إقليم تامسنا متنوع التضاريس، يجمع بين الجبال الكافلة للحماية والسهول الممهدة للزراعة.مما مكن البرغواطيين من الاعتماد على قدراتهم الاقتصادية ومنحهم الصمود أمام أعدائهم،وتجري في الإقليم أنهار عديدة ذكر البكري (أنها أكثر من مائة نهر أعظمها نهر ماسنات وهو يجري من القبلة إلى الجوف وبين عنصره وموقعه في البحر مسيرة ستة أيام ونهر وانسيفن يقع في نهر سلا تحت الرباط في البحر المحيط [28]. هذا إلى جانب نهر أم الربيع. يضاف إلى ذلك امتداد السواحل مما أعطى الإقليم مقدرة اقتصادية ووجه السكان إلى النشاط البحري [29] . وكان هذا الإقليم منفتحا على التجارة الخارجية لاسيما مع اسبانيا مادام ميناء فضالة (المحمدية) يصدر حاصلاتهم من الزراعة وتربية الماشية [30].

وساعدت السهول الفسيحة في الإقليم ووديانه العديدة على جعله إقليما زراعيا. فابن حوقل الذي لا يصف لنا سهول الأطلس لأنها كانت بلاد ملاحدة يؤكد بأنها تنتج القمح لأن البرغواطيين يؤمون سلا

وسجلماسة ليبيعوا المنتجات الزراعية والماشية [31]. ولذلك قال جوليان بأن بلاد تامسنا كانت بلادا زراعية مزدهرة[32]. وهذا الرخاء الاقتصادي جعل بلدهم مستقلا بنفسه عن الحاجة كما يرى ابن حوقل[33].

ومن خلال هذه النصوص يمكن الاستنتاج بأن الظروف الجغرافية المتمثلة في سلسلة الجبال بالإقليم من جهة والمحيط الأطلسي من جهة أخرى جعلت المنطقة في مأمن من الأخطار الخارجية وأعطتها المنعة والاعتصام. وأن الظروف الاقتصادية منحتهم الاكتفاء الذاتي والاعتماد على النفس مما مكنهم من الصمود لأكثر من أربعة قرون رغم القوى المعادية المحيطة بهم.

الديانة البرغواطية

قبل الحديث عن أمراء برغواطة ونشاطهم السياسي وصراعهم مع أعدائهم يجب التعرف على الديانة التي دانوا بها وقاتلوا من أجلها. ومن أجلها كذلك اعتبروا كفارا وملحدين وزنادقة .

ليست لدينا معلومات كثيرة عن الجانب العقائدي والشعائري لهذه الديانة. وما نتوفر عليه مستمد من البكري بالدرجة الأولى وابن حوقل في الدرجة الثانية .

وتكاد المصادر تجمع على أن صالح بن طريف ادعى النبوة، وادعى لذلك بأنه تلقى من الله قرآنا باللغة البربرية كما ادعى أنه يوحى إليه في كل خطبه وأقواله ومن شك في ذلك فهو كافر [34]. ويقول البكري أن البرغواطيين (يقدمون مع الاقرار بالنبيين الاقرار بنبوة صالح بن طريف وبنيه ومن تولى الأمر بعده من ولده، وأن الكلام الذي ألف لهم وحي من الله تعالى لا يشكون فيه، تعالى الله عن ذلك [35] .

وقد وضع صالح قرآنا باللغة البربرية يقرأونه في صلواتهم ويتلونه في مساجدهم ويتألف قرآنه من ثمانين سورة أكثرها منسوبة إلى أسماء الأنبياء من لدن آدم. وأولها سورة أيوب وآخرها سورة يونس. وفيها سورة فرعون، قارون، هامان، ياجوج وماجوج، الدجال، العجل، هاروت، ماروت، طالوت، نمرود، الديك، الجمل، الجراد، الحمل، الحنش؛ غرائب الدنيا، وهناك العلم العظيم [36]. وأضاف عن سورة غرائب الدنيا أنه حرم فيه وحلل وشرع وقص وكانوا يقرأونه في صلواتهم [37] .

وذكر البكري مقتطفات من سورة أيوب وهي استفتاح كتابهم :

«بسم الله الذي أرسل به الله كتابه إلى الناس، هو الذي بين لهم به أخباره قالوا علم إبليس القضية، أبى الله ليس يطيق إبليس كما يعلم الله، سل أي شيء يغلب الألسن في إلا قوله، ليس يغلب الألسن في الا قوله إلا الله، لقضائه باللسان الذي أرسل الله بالحق إلى الناس، استقام الحق، انظر محمدا كان حين عاش استقام الناس كلهم، الذين صحبوه، حتى مات، ففسد الناس،كذب من يقول أن الحق يستقيم وليس ثم رسول الله» (38) .

ويظهر من الآيات الأخيرة أنه أراد إيجاد مبرر لديانته ولكونه نبيا على أساس عدم استقامة الحق دون وجود رسول.

ووضع صالح إلى جانب القرآن مجموعة من التعاليم منها عشر صلوات، خمسا في النهار وخمسا في الليل،وبعض صلاتهم إيماء لا سجود فيها لكنهم يسجدون في آخر ركعة ثلاث سجدات متصلة وبعضها على كيفية صلاة المسلمين.وعند ابتداء الصلاة يضع الفرد إحدى يديه على الأخرى ويقول بالبربرية (ابتستمن ياكش) وتفسيره باسم الله، وأثناء سجودهم يرفعون جباههم وأيديهم عن الأرض مقدار نصف شبر ويقولون (مقرياكش) وتفسيره الكبير الله ويضعون أيديهم مبسوطة في الأرض طوال ما يستشهدون. ويقرأون نصف قرآنهم في وقوفهم ونصفه في ركرعهم. ويقولون في تسبيحهم بالبربرية الله فوقنا لم يغب عنه شيء في الأرض ولا في السماء .ويقولون مقرياكش خمسة وعشرين مرة، وايحن ياكش مثل ذلك ومعناه الواحد الله وردام ياكش مثل ذلك ومعناه لا أحد مثل الله. ويصلون صلاة الجمعة يوم الخميس وقت الضحى(39) .

وشرع لهم في الوضوء،غسل السرة والخاصرتين والرجل من الركبتين ومسح القفاء ،وأن لا يغتسلوا من جنابة إلا من حرام كما نصت تعاليمه على صوم رجب والإفطار في رمضان [40].

أما فيما يتعلق بالتعاليم الأخرى، فقد أباح لهم الزواج بالنساء دون حدود، وأباح لهم الطلاق والعودة إلى المطلقة متى شاءوا، وحرم عليهم زواج بنت العم إلا ثلاثة حدود ولا يتسرون ولا ينكحن المسلمين ولا ينكحون فيهم. كذلك شرع قتل السارق بالإقرار والبينة ورجم الزاني ونفي الكاذب ويسمونه (المخير) كما حرم رأس كل حيوان وحرم ذبح الديك لأنهم يعتمدون عليه في معرفة أوقات الصلاة، والسمك لا يؤكل إلا بعد الذبح، والبيض عندهم حرام والدجاج مكروه إلا أن يضطر عليها،والقاتل تؤخذ منه دية مائة من البقر،ويأخذون العشر في الزكاة من جميع الحبوب ولا يأخذون شيئا من المسلمين ويعتقدون أن نبيهم يشفي من المرض[41] .

وعن البكري نقل ابن عذاري وابن الخطيب وابن زرع وابن خلدون نقل عنه بشيء من التمحيص [42].

أما رواية ابن حوقل فإنها أقل من رواية البكري وفيها شيء من الاضطراب والأخطاء في أسماء الأمراء وسني حكمهم فيقول :

«ان رجلا يعرف بصالح بن عبد الله دخل العراق ودرس شيئا من النجوم وصلت منزلته في علمها إلى أن قوم الكواكب وعمل التقاويم والمواليد وأصاب في أكثر أحكامه، ثم عاد إلى قومه فدعاهم إلى الإيمان به، وذكر أنه نبي ورسول مبعوث إليهم بلغتهم،واحتج بقول الله تعالى وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم نبي حق عربي اللسان مبعوث إلى قومه وإلى العرب خاصة، وأنه صادق

فيما أتى به من القرآن،وإياه أراد الله عز وجل بقوله صالح المؤمنين والملائكة بعذ ذلك ظهير.وعدهم غير كسوف فوجدوه وانذرهم غير شيء فأدركوه وأصابوه على حكايته، فأفسد عقولهم وبدل معارفهم،وافترض عليهم طاعة في سنة ابتدعها وأحوال فرضها واخترعها،وأوجب عليهم صوم شعبان وإفطار شهر رمضان،وعين لهم كلاما رتله بلغتهم وشرع فيه محابة على نحلتهم. فهم يتدارسونه ويعظمونه،ويصلون به .

وهلك فخلفه وضي كان له إقامة يكنى أبا الخير فزاد فيما رسمه أشياء ذكر أن له فيها الزيادة والنقصان والحل والعقد فيما قدمه صالح لهم من الأحوال، فدعاهم إلى النسك وترك الدنيا والإقبال على التقلل والزهد. وتناهى هو وخاصته في ذلك إلى أن حفظ عليه صبره عن الغذاء خمسا من الدهر وسبعا وتسعا وهو في جميع ذلك يذكر أنه يوحى إليه وأن الملائكة تأتيه بما يأمرهم به وينهاهم عنه،وكان صالح يحل لهم الطيبات ويبيحهم اللذات ويسوسهم في المحظورات.وفيهم الآن من يقرأ القرآن بغاية الاحترام ويحفظ منه السور ويتأول آياته على موافقته لكتابهم وقرآنهم»[43] .

وكما نقل الأقدمون من البكري وابن حوقل، نقل المحدثون واتفقوا على ادعاء صالح النبوة ودعوته لديانة جديدة عدا د.محمود اسماعيل. لكنهم اختلفوا في أصول هذه الديانة هل هي هيلينية أو يهودية أو مسيحية أو إسلامية .

فالمؤرخ دي سلان كان أول من أثار المسألة فذهب إلى أن إله البربر المدعو ياكش هو Bacchus إله اليونان لأن النطق العربي لباخوس هو Yacchus ياكش، ودل على رأيه بأن طقوس عبادة إله الخمر والمجون عند اليونان - باخوس - كانت منتشرة في وسط المغرب[44]. وانساق المستشرق الهولاندي دوزي (Dozy)،وراء هذا الرأي وأضاف أن إله

اليونان Bacchus هو نفس إله البربر حتى من حيث النطق اللغوي إذ ينطق بالباء (باكوش) مستندا على ابن عذاري الذي كتبه بالباء وليس الياء [45]،متناسيا التصحيف في الكثير من الأسماء والأخطاء المطبعية. واعتمد أصحاب هذا الرأي على الأبحاث التي تشير إلى اعتناق الكثير من البربر القدامى، عقيدة باخوس اليونانية.وقد خطأ كاتب مادة برغواطة في دائرة المعارف الاسلامية هذا الرأي قائلا ... وقد خطأ بعض العلماء في ظنهم أن كلمة ياكش هي باخوس Bacchus أو بكك Bacas الواردة في الكتابات النوميدية وضللهم في هذا اعتمادهم علي صيغة من الصيغ لهذه الكلمة وهي ياكش ومعناها الله وهي ترجمة للكلمة العربية (وهاب) وهي صفة من صفات الله،ويذكرنا وجود هذه الكلمة عند الاباضية أيضا بما كان لصالح من صلة بمذهب الخوارج [46].

وينفي مارسي Marcy المزاعم السابقة ولم يعترف بوجود أصول إسلامية للعقيدة البرغواطية ويرى أن ياكش - إله برغواطة - هو إله المواطنين الرومان والمسيحيين، وأنه المسيح عيسى (يسوع) الذي كان لديانته شيء من النفوذ إبان ظهور الديانة البرغواطية، واستشهد بذلك علي اكتشاف وثيقتين بمدينة وليلي سنتي 599 و 605 تشيران إلي وجود مواطنين رومان بالمغرب الأقصى كانوا على المسيحية إبان الفتح الاسلامي كما أشار إلى تغلغل هذه التأثيرات الرومانية المسيحية في بلاد تامسنا مؤكدا اختلاط عقائد المسيحية والاسلام حتى بعد الفتح لأن برير تلك النواحي أعوزتهم القدرة على التفريق بين الشريعتين [47].

ويذهب ناحوم سلوش Slouch في مقاله عن امبراطورية برغواطة ودفردان Deverdun في كتابه عن مراكش [49]، إلى أن دولة برغواطة كانت يهودية، ويستندان إلى بعض المؤثرات اليهودية الموجودة في هذه الديانة مثل استعمال ياكش التي يرجعانها إلى يوشع النبي اليهودي

ومثل استعمال الشعر على شكل ظفائر باعتبارها عادة متبعة عند يهود بولندا واليمن،ومثل تحريم البيض والاعتقاد في تأثير اللعاب وهي عادة عند يهود طنجة. يضاف إلى ذلك اهتمام البرغواطيين بموسى وتقديمه على عيسى هذا إلى جانب الرأي القائل بأن مؤسس الديانة أصله يهودي(50) .

ويشير الدكتور ابراهيم حركات إلى الآثار اليهودية في هذه الديانة موضحا أن أسماء السور التي تضمنها قرآن صالح فيها الكثير من أسماء اليهود أي ما يرتبط بذكريات التاريخ العبراني، وحتى أسماء ملوك غرناطة بينها الكثير من أسماء أنبياء بني اسرائيل كاليسع والياس وإن كانت هذه الأسماء توجد في إمارات مغربية خارجية،ويضيف إلى ذلك الانطلاق من التنجيم والكهانة مما اشتهر به العبرانيون في القديم،وأصبحت له مكانة بارزة لدى البرغواطيين .كما نصت تعاليم التوراة على قتل السارق وتبنى البرغواطيون هذا الحكم ورجم الزاني رغم أنه إسلامي فإنه يتفق مع الشريعة الموسوية(51). غير أن حركات لا يعتبر هذه الديانة يهودية بل تأثرت باليهودية .

يتضح لنا مما سبق أن هذه الآراء لم تستند على أسس علمية متينة. فالذين ذهبوا إلى أن ديانة برغواطة هي احياء لعبادة باخوس - اعتمادا على دراسات في فقه اللغة- دحض زعمهم على يد مارسي المتمرس في فقه اللغة المقارن والعليم باللهجات البربرية فضلا عن إجادته اليونانية واللاتينية (52) أما حجج مارسي في الأصل المسيحي للديانة البرغواطية فلا أساس لها من الصحة. فقد تعثر حينما تناول موضوعا على هذه الدرجة من الخطورة من خلال فقه اللغة فدخل في متاهات جدل عقيم لإثبات أن ياكش هو المسيح، .وهو أمر نفاه عليه بعض الدراسيين (53). إذ رتب نتائج خطيرة على أساس غير مقنع،ولو سلمنا جدلا بأن إله

برغواطة هو يسوع فأين الأب وروح القدس لتتكامل الأقانيم الثلاثة في العقيدة البرغواطية، يضاف إلى ذلك أن الديانة المسيحية لم تنتشر في أواسط المغرب بل بقيت في المدن الساحلية وبالذات سواحل البحر المتوسط [54] .

أما حجج سلوش - المتعصب ليهوديته - فإنه أقامها على أسس خاطئة. فقد سبق أن فند الرأي القائل بيهودية صالح وطريف، والقول بأن صالح هو (ورييا) في التوراة لا يعني أكثر من ترجمة للإسم إذ أورد البكري كذلك ترجمته في اللغات الأخرى كالعربية والفارسية والبربرية،وريق الأنبياء مقدس عند يهود طنجة فهو مقدس لدى الكثير من غير اليهود .

وإلى جانب هذه الآراء هناك عدد من الدارسين [55] أشاروا إلى الأصول الإسلامية لهذه الديانة،ولكنه إسلام مشوه طبع بطابع بربري محلي. وهذا الرأي يعتمد على كثير من الأسس الصحيحة يمكن استخلاصها مما رواه البكري. كالصلاة والوضوء والصوم وغيرها من الشعائر الاسلامية ولو أنها اختلفت عن الاسلام في الكيفية التي تؤدى بها . أما ابن حوقان فيروي «من البرغواطيين في عصره من يقرأ القرآن بغاية الاحترام ويحفظ منه السور ويتأول آياته على موافقته لكتابهم وقرآنهم [56]» .وأشاد بهم «ففيهم أمانة وبذل للطعام،وتجنب الكبائر من الحرام والمحظورات من الطعام» [57]. ويؤكد كذلك ابن عذاري بقوله «كان من بين البرغواطيين من فقهوا في الدين وعاصروا الأدارسة وتلقوا دراستهم بالشرق ومنهم يونس الشذوذي الأندلسي الأصل الذي وصل مع يزيد بن سنان الزناتي الواصلي وبرغوث بن سعيد الصقري، ومن المفارقات اجتماع أصحاب هذه المذاهب في رحلة للدراسة معا ثم يرجعوا إلى المغرب وقد تفرقت بهم المذاهب» [58] .

ومن هذا المنطلق أكد موتايلنسكي أن ياكوش ليس إله برغواطة فحسب، بل إله البربر الخوارج، والكلمة تعني (الله) عند المسلمين عموما. وأضاف أن البربر درجوا على استخدام كلمة أخرى مرادفة لياكوش هي (يوش) وتعني واهب المطر[59]. أما كاتب مادة برغواطة في دائرة المعارف الاسلامية فالمح إلى صلة صالح بالمذهب الخارجي حيث إن لفظة ياكوش في رأيه تعني الوهاب وهي صفة من صفات الله عند الخوارج[60].

وشكك الدكتور سعد زغلول في ادعاء صالح النبوة، وأشار إلى أن اتهامه وقومه بالانحراف مبالغة من الكتاب الذين يخدمون أغراضا مذهبية وسياسية. وأكد على بصمات الطابع البربري عليها، وانطوائها على أفكار شيعية كفكرة (المهدي المنتظر) [61]. ويذهب إلى نفس الرأي الدكتور العروي بقوله «لقد نسب ما يتعلق بنبوءة صالح إلى أثر بقايا مسيحية سابقة لكنه يعزى على الأرجح بكل بساطة إلى الإيديولوجية الشيعية إذ ما من شيء يقيم الدليل على أن مذهب الخوارج هو وحده في ذلك العصر الذي كان يعمل بالمغرب، وأن الرغبة في استيعاب البربرية للإسلام هي ظاهرة وهي أمر مسلم به طالما يكون متمشيا مع الماضي، لكن حادث التعديل نفسه لا النبذ كلية هو اعتراف بقيمة الإسلام التحضيرية [62] .

أما الدكتور حركات فيشير بأن غرب المغرب لم تتمكن مبادئ الدين الصحيحة من نفوس البربر فيه، لذلك أنشأ البرغواطيون مذهبا خاصا بهم، بعض أصوله الإسلامية وأكثرها مما تأثروا فيه بمؤثرات وثنية عريقة إلى جانب ما استقوه من أصول عبرانية، وفي جميع الأحوال كانوا يؤمنون بوحدانية الله واعترفوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومن سبقه من الأنبياء، وشرعوا الصلاة والوضوء والزكاة ولكنهم أضفوا

أشياء غريبة عن الاسلام أو تتعارض معه وذلك كرد فعل لسياسة الأمويين. ويضيف بأن بعض تشريعاتهم لا تتفق مع جميع الديانات كتعدد الزوجات بلا حد والطلاق والمراجعة بلا حد وحسب شهوة الرجل وتحديد الدية بعدد البقر وتحريم رأس كل حيوان والبيض (63) .

ويوضح لنا التأثيرات الاسلامية وتشويهها من قبل البرغواطيين الفرد بيل بشكل مفصل فيقول (ان ديانة صالح هذه تبدو لنا تقليدا لشريعة الاسلام قام به بربري ومن أجل البربر، وإضافات هنا وحذف هناك كانت كافية لتشويه الفروض الإسلامية مع تركها تشف من ورائها بوضوح (64). فلانظافة تتم كما في الإسلام بالوضوء خصوصا قبل الصلاة. فأضاف أعضاء معفاة من الوضوء العادي، وأعفى من الوضوء والغسل في بعض الأحوال التي يوجب فيها الشرع الإسلامي (الجنابة) وألغى الأذان والإقامة وضاعف عدد الصلاة وعدل في كيفيتها وخاصة فيما يتعلق بالسجود،كما وضع تعديلات مهمة بأوقات أداء بعض الشعائر الإسلامية كصلاة الجمعة يوم الخميس وصيام رمضان أصبح في شهر رجب، وعيد الأضحى أصبح في الحادي عشر من محرم، أي في اليوم الثاني لعاشوراء عند المسلمين،وأراد بذلك التقرب من البربر، لأن المغرب احتفظ بعادات سحرية دينية قديمة تدور حول عاشوراء وتعطيه معنى عيد تطهير الجماعة وأموالها،وهو المعنى الذي ينبغي لعيد الأضحى عند المسلمين وأسماء السور التي وردت في قرآن صالح هي أسماء أشياء وأشخاص شبه أسطوريين وكثير منهم ذكروا في القرآن والعهد القديم (65) .

ويشير بيل إلى الآثار الشيعية والخارجية والبربرية في هذه الديانة بقوله : إن تأكيد صالح في قرآنه أن الحق لا يستقيم بدون رسول يذكرنا ة الشيعة في الامام وقولهم أنه لا بد من وجود امام في كل وقت

ظاهرا كان أو مستورا. والطهارة الأخلاقية مأخوذة من الخوارج فالكذب يعد كبيرة لذلك يكفر صاحبه وينفى عن الجماعة، أما مسألة تحريم البيض والديك والدجاج وذبح السمك فهي عادات بربرية. أما القانون المدني الشخصي والاجتماعي فإنه يختلف عما يناظره في الشريعة الاسلامية كالزواج والطلاق والسرقة (66) .

ويضيف أن مسألة البصاق هي وسيلة لنيل بركة الأولياء وقد تكون اعتقادا قديما كان في الإنسانية البدائية اعتقادا بالقيمة السحرية لبعض الناس المباركين، وهذا الاعتقاد الشخصي لا علاقة له بديانة صالح وإنما تدل على مدى توقير أنصاره له. وهي عادة منتشرة في كثير من بقاع العالم ويضرب أمثلة على ذلك بأن أولاد حمادي بمراكش يعالجون بعض الأمراض بأن يبصقوا على الجزء المريض والعيساوة يعالجون التهاب الحنجرة بالبصاق (67). ويصل بيل في النهاية إلى القول (أن عقيدة الله وجوهر الشعائر الاسلامية كانت معروفة للبربر بحيث لم ينجح صالح إلا في تشويهها لتتفق مع أذواق بني قومه،واستبدال اللغة العربية باللغة البربرية في ديانته الجديدة لقبولها (68) .

وقبل أن نجدد وجهة نظرنا من الديانة البرغواطية، أرى من الضروري مناقشة الرأي الجديد الذي جاء به الدكتور محمود اسماعيل في دراسته القيمة المعنونة «المسألة البرغواطية» وسأركز على بعض الجوانب المهمة فقط تاركا التفاصيل لمجال آخر .

بادئ ذي بدء تعتبر الدراسة من أحسن الدراسات في هذا المجال،وذكرت ذلك في المقدمة، إلا أني لي وجهة نظر مخالفة في بعض القضايا علما بأني استفدت بشكل كبير من هذه الدراسة .

يقول محمود اسماعيل «ونزعم أنه بفضل هذا المنهج أمكن صياغة

تاريخ برغواطة -لأول مرة- صياغة جديدة محققة وحسم قضية الخلاف حول أصول عقيدتهم حسما جازما في لغة منطقية عقلانية هي لغة الأفكار الواضحة المتمايزة». ويضيف ونحن نجزم بالأصل الإسلامي لعقيدة برغواطة، وأنها صورة متطورة من صور المذهب الخارجي الاسلامي». ويبدو التأثير الجغرافي واضحا في عقيدة برغواطة فظلت محافظة على المذهب الصفري بعد زواله من كافة بلاد العرب عقب ظهور الفاطميين، ولكن بسبب العزلة أيضا اتخذ طابعا مسرفا من التطرف .

فبرغواطة لم تتقاعس عن الإقبال على هذا المذهب، فنعلم أن زعيمها طريفا (هو طريف بن ملوك ويكنى بأبي صالح) لقي عكرمة داعية الصفرية في القيروان وأخذ عنه مذهبه ثم عاد لنشره بين قومه. ونقلوا أن طريفا كان ذا شهرة طيبة بين بربر المغرب الأقصى لبلائه في افتتاح الأندلس، وقد أدرك صالح بن طريف أن برغواطة في حاجة إلى التبصير بأصول المذهب وأحكامه فكرس السنوات الست التي قضاها في الحكم من أجل تلك المهمة. وعلى ذلك فلا مندوحة عن رفض الروايات الأسطورية التي تزعم أن صالحا ادعى النبوة، وشرع شريعة جديدة أوصى ابنه إلياس أن يدعو لها من بعده، وكذلك الرواية القائلة بأنه رحل ألى الشرق ليعود في دولة السابع من ملوكهم،وزعم أنه المهدي الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان لقتال الدجال». ويستخلص من هذه الأقوال والخلاصة أن تاريخ برغواطة أمكن صياغته في إطار تاريخ المغرب الإسلامي وأن عقيدتها تمثلت في المذهب الخارجي الصفري، وأن المذهب كان إيديولوجية هذه الدول منذ قيامها [69].

ويسوق عددا من الأدلة التي تؤكد صفرية العقيدة البرغواطية، منها الرواية القائلة بأن صالح غاب ليرجع في عهد الامام السابع، ذات دلالة على خارجية العقيدة، إذ تتسق مع الفكر الاجتماعي عند

الخوارج.وكذلك وصية صالح لولده الياس بعدم البوح بالدعوة، يتسق مع فكرة (التقية) في المذهب الخارجي الصفري الذي (يجوز التقية في القول دون العمل)، ويضيف أن زعم البكري أنهم يقيمون خمس صلوات في اليوم وخمس صلوات في الليلة، له دلالة على إسراف الصفرية في العبادات حتى لقد قيل بأنه سموا صفرية لاصفرار وجوههم من كثرة العبادة، ونفس التفسير ينسحب على القول بأن صيام يوم من كل جمعة فرض من فروضهم. وكذلك القول بأنهم لا يتسرون تأكيد لالتزامهم بمبدإ صفري أصيل مؤداه الانصراف عن الدنيا، والقول بأنهم لا يأخذون من المسلمين العشر كزكاة وعدم الزواج منهم، قاعدة فقهية مميزة لفكر الخوارج الصفرية لأنهم اعتبروا أنفسهم مسلمين وما عداهم كفرة. ويضيف أن ما حكي عن تطرفهم في العقوبات الجنائية كقتل السارق ورجم الزاني ونفي الكاذب، يتسق مع تطرف الصفرية، ومن سمات هذا التطرف (الاستعراض وأخذ المخالفين بالسيف وفي ذلك تفسير لقول ابن خلدون عن حرق المدن واستسلام أهلها بالسيف. ويضيف إلى هذه الأدلة قول البكري ان برغواطة أعلم الناس بالنجوم، وهذا يدل على اعتناقهم المذهب الخارجي لأن علم الفلك من أهم العلوم عند الخوارج،واشتهار البرغواطيين بشدة البأس والمراس ويستوي في ذلك الرجال والنساء فكانت الجارية البكر منهن تثب ثلاثة حمر مصطفة،وكذلك اتشاح البرغواطيين بالسراويل تدل على صفريتهم منذ أيام ميسرة والمقصود هنا التخفيف من الثياب أثناء المعارك، والدليل الأخير الذي يعتمد عليه إرسال البعوث إلى الشرق للتعمق في دراسة أصول المذهب والحرص على عقد وشائج ودية مع أمويي الأندلس وهي سياسة أخذت بها كافة الدول الخارجية(70) .

هذه هي الأدلة التي ساقها ليؤكد على صفرية الديانة البرغواطية،وبعض هذه الأدلة منطقي والبعض الآخر جانبه التوفيق.وقبل مناقشة هذه الأدلة، سأذكر بعض النصوص التي ذكرها في كتابه (الخوارج في المغرب الإسلامي) وهو أطروحة الدكتورا للمؤلف، وهي دراسة علمية موفقة. يقول (ان بربر برغواطة اعتنقوا هذا المذهب في وقت مبكر على يد طريف بن شمعون الذي لقي عكرمة بالقيروان.. وإذا كانوا قد تخلوا عنه بعد ذلك واتبعوا تعاليم صالح بن طريف، فالراجح أن ميسرة كان على صلة وطيدة بطريف بن شمعون القائم بدعوة الصفرية في برغواطة قبل تقلده زعامة الحركة. فلما قام بثورته آزروه ووقفوا إلى جانبه ولكنهم ما لبثوا أن ارتدوا عن الصفرية حين نحى ميسرة عن زعامتها فانحازوا إلى دعوة صالح بن طريف[71]. ويقول في مكان آخر من نفس الكتاب «من المؤكد أن برغواطة اعتزلت النشاط الصفري وارتدت عن المذهب وعن الاسلام أيضا من جراء ما حل بحليفها ميسرة من إهمال ونكران»[72]. وحينما ذكر برغواطة في كتابه وضع لها هامشا ذكر فيه محل سكناها.. وأضاف :«كان زعيمها طريف بن شمعون من قواد ميسرة وقد اختلف في نسبه فيما إذا كان مصموديا أو يهوديا أو يمنيا، وعلى كل حال فقد خلفه بعد موته ابنه صالح الذي تزندق وشرع ديانة جديدة وأظهر قرآنا جديدا وادعى أنه المهدي المنتظر[73] .

ونحن لا ندري أيهما أصح هل ما ذكره في أطروحته للدكتوراه أو دراسته عن برغواطة. ويبدو أنه وقع في خطأ منذ البداية بالتأكيد والجزم. وهي مسائل مرفوضة في الدراسات التاريخية، فكيف يجزم في قضية لا نملك جميع مصادرها، وما هو موقفنا إذا ظهرت نصوص برغواطية جديدة، وكان الأجدر به وهو باحث علمي مرموق الابتعاد عن

الجزم والتأكيد اللذين أوقعاه بهذا الاضطراب .

وإذا أردنا مناقشة الرأي الجديد للدكتور محمود اسماعيل فلنبدأ بصالح بن طريف، فهو يرفض ادعاءه بالنبوة على الرغم من إجماع المؤرخين القدامى الذين نقل عنهم وكذلك المحدثين، فإما أن يرفض كل الروايات وإما أن يأخذ بالروايات التي أجمعوا عليها، كما أننا بحاجة لمعرفة هل هو صالح بن طريف بن شمعون أم طريف بن ملوك . أما الدليل الأول الذي اعتمده وهو عودة صالح في حكم السابع منهم فقد سبق له أن رفضه باعتباره أسطورة فكيف يستدل بالأسطورة؟ ومن ناحية أخرى فإن عودة المهدي ليست عقيدة خارجية بل شيعية وهي معروفة. أما دليل التقية على أساس إجازتها في القول دون العمل، فقد طبق إلياس هذا المبدأ عمليا وليس قولا فقط ثم إن مبدأ التقية مبدأ شيعي كذلك. والدليل الآخر بأنهم يصلون في اليوم عشر صلوات، فقد ذكر في نفس الدراسة (لو صح ذلك لما اتسع الليل والنهار لأداء فريضة الصلاة وحدها إذا أخذنا بالاعتبار أنهم يقرأون نصف قرآنهم في وقوفهم ونصفه في ركوعهم [74] لكنه يعتمده على أساس إسراف الصفرية في العبادة وسموا صفرية لاصفرار وجوههم من كثر العبادة وحتى هذا الرأي سبق له أن فنده في كتاب الخوارج لقوله (ولا محل لتصديق روايات أخرى ترجع لتسميتهم لصفرة وجوههم من كثرة العبادة)[75] والدليل الآخر بأنهم لا يتسرون تأكيدا لانصرافهم عن الدنيا. فإن معظم المصادر تؤكد أنهم كانوا يتزوجون ويطلقون بلا حدود، فهم ليسوا بحاجة إلى التسري وليس السبب هو الزهد، أما العقوبات الجنائية ضد السارق والكاذب والزاني ففيها آثار إسلامية وخارجية وعبرانية. ويشير إلى قضية (الاستعراض) لتبرير قتلهم لأعدائهم بقسوة والسؤال هو هل يؤمنون بالاستعراض أو بالتقية؟ ومسألة الاستعراض تنسحب على شجاعتهم فهل كانوا شجعانا

لأنهم خوارج أم أن البربر عرفوا بشدة البأس والمراس،ولإثبات شجاعتهم يأتي بدليل سبق وأن رفضه لأنه أسطورة وهو (أن الجارية البكر تثب ثلاثة حمر مصطفة). ولا أريد أن أطيل في مناقشة الأدلة الخمسة عشرة التي أثبتها فكما قلت لها مجال آخر، ولكني أقول كان الأجدر به أن يشير إلى أن التأثيرات الخارجية في هذه الديانة كثيرة وهو أمر مقبول. أما أن يجزم بأنها صفرية متطورة فهو أمر مرفوض لأن الأدلة لاتسعفه .

والقضية الثانية في هذه الدراسة هي حول (قرآن) برغواطة. يقول محمود «فلا أساس لها من الصحة، والأمر لم يعد - في تقديري- أكثر من ترجمة القرآن إلى لغة البربر،وكان ذلك أمرا ضروريا لدى بربر تامسنا الذين لم يتم تعريبهم نهائيا إلا في عصر الموحدين»[76]. وللرد على ذلك، فإن المؤرخين القدامى والمحدثين أكدوا هذه الناحية وبضمنهم هو . ثم إن السور التي أوردها المؤرخون في قرآن صالح لا وجود لها في القرآن الكريم فضلا عن ذلك فقد أورد في دراسته بعض الآيات التي ذكرها البكري. فأية سورة من سور القرآن يمكن أن يرجع إليها ليعتبر قرآن صالح مترجما إلى البربرية. أما مسألة التعريب فهي بحاجة إلى دراسة ولكنه من المؤكد أنه كان هناك من يعرف العربية وهو أكد هذه القضية في كتابه الخوارج وفي دراسته حيث أشار إلى أنهم كانوا يقرأون القرآن الكريم .

والقضية الثالثة قوله (وانتهى البحث إلى الكشف عن تاريخ الدولة من حيث قيامها وعرض سياستها الداخلية بتقديم سجل كرونولوجي دقيق لأول مرة عن حكم أمرائها مضبوطا بالتواريخ المحققة) [77] .إن هذا السجل الكرونولوجي الدقيق أوقعه في اضطراب كبير. فقد حدد سني حكم أمراء برغواطة مخالفا به معظم المصادر، ومرجع الخطأ إجماع المؤرخين أنه حكم سبعا وأربعين عاما. فيقول ويبدو أن طريف مات

عام 122 على أساس تقلد صالح الحكم في نفس العام وحتى عام 128 أخذا برواية ابن الخطيب التي تقدر حكم صالح بست سنوات وليس كما ذهب ابن خلدون وغيره [78]. وقد قال في نفس الدراسة (أما ابن الخطيب فقد قدم تاريخا مختلا مضطربا ينم على عدم المامه حى بالأسماء الصحيحة لأمراء برغواطة وتوقيت تقلدهم الإمارة أو تنحيهم عنها، هذا فضلا عن تحامله الشديد وتعصبه الأعمى)[79]. بينما اثنى كثيرا على ابن خلدون. إضافة إلى ذلك فإنه يقول (توجه طريف إلى تامسنا وبقي قائما بأمر برغواطة حتى سنة 122 وهو نفس الوقت الذي توجه فيه ابنه صالح إلى الشرق في رحلة لطلب العلم بعد ان اشترك في حركة ميسرة) وفي الصفحة الثانية يقول (ثم عاد صالح إلى تامسنا ليتقلد الحكم بعد والده الذي يمتد به العمر طويلا، توفي سنة 122). فكيف ذهب صالح إلى الشرق ودرس العلم والفلك وبرز على أقرانه وعاد ليتسلم الحكم في نفس العام. وأن هذا التصور خلق فترة شغور في الحكم امتدت من سنة 220 حتى سنة 270 عللها بخضوع البرغواطيين لحكم الأدارسة. غير أن معظم المؤرخين ومن بينهم هو أكدوا عدم تمكن الأدارسة من فرض سيطرتهم على البرغواطيين .

وأخيرا فهناك عدة نصوص رفضها لأنها تعارض فكرة صفرية البرغواطيين، واعتمد على نصوص أكد في بداية الدراسة على ضعفها لأنها عبرت عن صفرية البرغواطيين بشكل أو بآخر. كما أنه نقل نصوصا مبتورة لتخدم هدف البحث. وقد اكتفى بمثالين عن ابن خلدون الأول ذكره في صفحة 47 (يقال أنه تنبأ وشرع) معتمدا على كلمة يقال ليشكك بادعاء صالح النبوة بينما كان ابن خلدون يقصد طريف والنص واضح لمن يراجعه .. والثاني أن ابن خلدون قال عن صالح (أنه من أهل العلم والخير) ولم يكمل النص (ثم انسلخ من آيات الله وانتحل

دعوى النبوة).

وختاما يمكن القول أن الديانة البرغواطية لا يمكن البت بأصولها بشكل حاسم مادمنا لا نتوفر على مصادر تعبر عن وجهة نظرهم، وأن المصادر القديمة فيها شيء من التحامل عليها لاعتبار البرغواطيين كفارا وزنادقة ومجوسا، إضافة إلى المبالغة والتزيد في بعض الشعائر ومن أبسط الأمثلة على ذلك مسألة الصلاة فكيف يتمكن الشخص أن يصلي خمسا في اليوم ومثلها في الليل مع قراءة نصف القرآن في الوقوف ونصفه في الركوع. فهذا يعني أن الإنسان لا يعمل شيئا سوى الصلاة .

ويبدو أن الآثار الإسلامية أكثر وضوحا في هذه الديانة من غيرها. وقد ذكرت هذه التأثيرات في الصفحات السابقة ولا مبرر لتكرارها، كما أنهم تأثروا بالفكر الشيعي وخاصة في مسألة ضرورة وجود الإمام وعودته والتقية. وكذلك أخذوا الكثير من فكر الخوارج لا سيما إذا علمنا أن مؤسس هذه الديانة كان خارجيا في يوم من الأيام فبقيت أفكاره ملازمة له وليس من السهولة التخلص منها، هذا إلى جانب بعض التأثيرات اليهودية .

وتبقى العادات والتقاليد ذات أثر بارز في هذه الديانة فابن حوقل يقول عن صالح (انه بربري الأصل،مغربي المولد، ضليع بلغة البربر، يفهم غير لسان من ألسنتهم، فدعاهم إلى الإيمان به، وذكر أنه نبي ورسول مبعوث إليهم بلغة البربر واحتج بقوله تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه). وبذلك فإن النزعات الاستقلالية التي انتشرت بانتشار الخوارج جعلت بعض المتطرفين يتجهون هذا الاتجاه الدياني المستقل عن الاسلام. وقد تمكن صالح بن طريف من الاستفادة من معلوماته الدينية والدنيوية فأخذ من العقائد المنتشرة آنذاك ومن العادات والتقاليد الموجودة في المنطقة وطابعها بطابع بربري محلي مستفيدا من معطيات

البيئة ومن جهل البرغواطيين بالإسلام الصحيح فوضع هذه الديانة المعروفة بطقوسها الخاصة وبقرآنها المكتوب بالبربرية وتقبلها البرغواطيون كحقيقة مسلم بها .

السياسة الداخلية والخارجية

كما اختلف المؤرخون حول أصول العقيدة البرغواطية، اختلفوا حول السنة التي أسس فيها البرغواطيون إمارتهم والمؤسس الحقيقي لها،والحكام الذين تداولوا الحكم وسني حكمهم.

يرى عدد من الذين كتبوا عن برغواطة أن طريف أبو صالح هو الذي أسس الدولة ، وطريف هذا اختلف في اسم أبيه وديانته ، فالبكري يقول أنه من ولد شمعون بن يعقوب ابن اسحاق وأنه من أصحاب ميسرة المطغري وإليه نسبت جزيرة طريف [81]. فلما قتل ميسرة وافترق أصحابه احتل طريف بلدة تامسنا وكان إذ ذاك ملكا لزناتة وزواغة فقدمه البربر على أنفسهم وكان على ديانة الاسلام ، وتأثر بعض المؤرخين بالنسب الذي ذكره البكري ، قالوا بأنه يهودي الاصل ويكنى بأبي صبيح وبعد فشل ثورة ميسرة بقي قائما بأمر برغواطة بتامسنا ويقال أنه تنبأ أيضا وشرع لهم الشرائع [83]. أما ابن عذاري فقال بالأصل الأندلسي دون أن يرده الى التهود [84]. ويرد ابن خلدون الأصل اليهودي ويقول كان كبيرهم في المائة الثانية من الهجرة ويقال أنه تنبأ وشرع لهم الشرائع [85]. وسار على خطاه بيل الذي يقول «كان كبيرهم أثناء ثورة ميسرة وهو أبو صالح طريف ، عاد الى تامسنا هو ورجاله بعد حملة الخارجية صوب الشرق وبقي قائما بأمرهم على مذهب الصفرية» . ويؤيده كاتب مادة برغواطة في دائرة المعارف الإسلامية[86].

وهكذا يمكن القول أن طريفا بربري من برغواطة وليس يهوديا وأنه انسحب من ثورة ميسرة بعد عزله وعاد الى تامسنا ليتزعم البرغواطيين،وأنه بقي على دين الإسلام وعلى المذهب الخارجي بالذات .

وتجمع المصادر على أنه بعد وفاة طريف تولى مكانه ابنه صالح الذي كان على مذهب الخوارج وأنه حارب مع أبيه الى جانب ميسرة وهو صغير. وهناك رواية لابن الخطيب أن ميسرة اتخذ من صالح ناصحا ومشيرا [87]. وتؤكد المصادر أن صالح كان من أهل العلم والخير ثم انسلخ عن آيات الله وانتحل دعوى النبوة وشرع لهم الديانة التي كانوا عليها من بعده [88].واختلف في تاريخ ظهوره ووفاته فبعضهم يرى أنه ظهر في الأول من الهجرة وأنه إنما انتحل ذلك عنادا أو محاكاة لما بلغه بشأن النبي صلى الله عليه وسلم . وهي رواية ضعيفة فندها ابن خلدون وغيره . وأكد أن ظهوره كان في خلافة هشام بن عبد الملك سنة 127 . وهي السنة التي توفي فيها أبوه [89].أما بالنسبة لوفاته فالبكري يذكر أنه توفي بعد وفاة الرسول بمائة عام أي سنة 111هـ [90]. وهي رواية مشكوك فيها ولا تتفق مع فترة ظهوره لأن فكر الخوارج لم يتبلور بعد في المغرب ولم يعلن ميسرة عن ثورته التي ظهر صالح بعدها . ويحدد ابن خلدون وفاته سنة 174 بعد أن حكم سبعا وأربعين عاما وهي أقرب الى الصواب [91].

واشتهر صالح بالنبوغ والذكاء وبعد النظر وقدرة التأثير على الغير، وله علم بالسحر وجمع منه فنونا ، وحينما ذاع فضله وعلمه بين البربر فكر في إيجاد دين جديد فزعم أنه صالح المومنين [92] المذكور في القرآن الكريم (وان تظاهروا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير) [93]. وزعم كذلك أنه المهدي الأكبر الذي يخرج في آخر الزمان لقتال الدجال ويملأ الأرض عدلا كما مليت جورا ،وأن عيسى بن مريم يكون من أصحابه ويصلي خلفه، وتكلم كلاما كثيرا نسبه الى موسى وإلى سطيح الكاهن وإلى ابن عباس . وذكر أن اسمه في اللسان العربي صالح وفي السرياني مالك وفي الفارسي عالم

وفي العبري وربيا وفي البربري ورباوري ومعناها الذي ليس بعده نبي[94] .

وتشير الأساطير أن صالحا رحل الى الشرق بعد أن حكم سبعا وأربعين عاما، ووعد أصحابه بأنه سيرجع في حكم خليفته السابع[95]. وتثير هذه الرواية عدة تساؤلات : فمتى رحل الى الشرق هل بعد أن حكم سبعا وأربعين عاما؟ أم قبل تسلمه السلطة كما يفهم من رواية ابن حوقل؟ وتبدو رواية الأخير أقرب الى الصحة . فإذا أخذنا برواية البكري فأين تعلم السحر وجمع منه فنونا ودرس علم الفلك وذاع علمه بين البربر؟ وإذا تعلم هذه الفنون فقد تعلمها بعد أن أنهى حكمه فكيف نشرها بين قومه؟ لذلك يبدو أن صالح رحل قبل تسلمه السلطة ، ودرس شيئا عن النجوم والتقاويم والمواليد وأصاب في أ كثر أحكامه كما يقول ابن حوقل [96]، وأنه وحد شمل البرغواطيين بعلمه وسياسته لا (بسحره ولسانه وتمويهاته) كما يذكر ابن الخطيب [97]. ويؤكد الناصري :(أن صالح رحل الى الشرق وقرأ على عبيد الله المعتزلي واشتغل بالسحر وجمع منه فنونا، وقدم المغرب فنزل تامسنا فوجد فيها قبائلا جهالا من البربر فأظهر لهم الصلاح والزهد وموه عليهم وخلبهم بلسانه وسحرهم،فصدقوه واتبعوه وادعى النبوة وشرع لهم الشرائع)[98].

ويظهر من هذه النصوص أن صالحا رحل الى الشرق قبل تسلم السلطة غير أن الخلاف حول سنة سفره فإذا أخذنا برواية محمود اسماعيل فإنه سافر سنة 122 دون الإعتماد على سنة تسلمه السلطة كما يذكرها لامكن حل الإشكال . فهو سافر في حياة أبيه وبقي خمس سنوات ثم عاد سنة 127 وتسلم السلطة .

وتشير الروايات أن صالحا أوصى بشريعته إلى ابنه إلياس وفقهه وأوصاه بأن لايظهر ذلك إلا إذا قوي أمره حينئذ يقتل من خالفه كذلك

أمره بموالاة أمير الأندلس [99]. وبقي إلياس مظهرا للإسلام مسرا ما أوصاه به أبوه من كلمة كفرهم وكان طاهرا عفيفا لم يتلبس بشيء من الدنيا ، وفي بعض الروايات متظاهرا بالعفاف والزهد الى أن توفي سنة أربع وعشرين ومائتين بعد أن حكم خمسين عاما [100]. ويبدو أنه أخذ بمبدأ التقية تأثرا بالشيعة، فيذكر البكري أن إلياس أظهر الإسلام وأسر الذي عهد إليه به أبوه خوفا وتقية [101].

وتولى من بعده ابنه يونس الذي كثرت حوله الأساطير، فقيل أنه رحل الى الشرق، وحج ولم يحج أحد من أهل بيته قبله ولا بعده [102]. والسؤال المطروح هل ذهب فعلا للحج أم أنه ذهب لدراسة العلوم في الشرق .فإذا ذهب الى الحج فهو مسلم وبالتالي نرفض الروايات القائلة بأنه دعا الى ديانة أبيه. ولكن يبدو أنه ذهب لدراسة العلوم لان معظم المصادر تشير الى أنه تعلم علم النجوم والكهانة والجان ونظر في الكلام والجدال وأنه شرب دواء للحفظ فحفظ كل ما سمعه ، وأخذ عن غيلان الدمشقي [103].ثم انصرف يريد الأندلس فنزل بين هؤلاء القوم من رفاقه فلما رأى جهلهم استوطن وكان يخبرهم بأشياء قبل حدوتها فكان كما قال أو قريبا منه . مما يدل على علمه بالتنجيم والكهانة فعظم أثره عندهم فأظهر ديانته الجديدة التي تقبلوها [104].

ويظهر من هذا النص الاضطراب والخلط بين شخصيتي صالح ويونس ، والبكري يذكرها برواية المذحجي وليس زمور .لذا من الصعب أن يأخذها كقضية مسلم بها . فاما أن يكون يونس قد بعث تعاليم صالح بعد أن أهملت واما أن يكون هو صاحب هذه التعاليم بالفعل وأنه نسبها الى جده .

واتخذ يونس من مدينة شالة قاعدة للحكم [105]. وفرض دينه بالقوة فيقول ابن خلدون (فأظهر دينهم ودعا الى كفرهم وقتل من لم

يدخل في أمره حتى أحرق مدائن تامسنا وما والاها [106]. وتشير الروايات الى أنه أحرق ثلاثمائة وثمانين مدينة وقتل سبعة آلاف وسبعمائة وسبعين شخصا في موضع يقال له تاملوكافت (وهو حجر ثابت عالي في وسط السوق) وقتل من صنهاجة في موقعة واحدة ألف وغد[107]. ويبدوطابع المبالغة واضحا ولكنه يشير الى كثرة الذين قتلهم والقرى التي أحرقها. وتوفي يونس سنة 268 بعد أن حكم أربعا وأربعين عاما [108]. وانتقل الأمر عن بنيه الى غيرهم من قرابته ولم تحدد المصادرسبب انتقال الأمر هل لعدم وجود خليفة له أم نتيجة لصراع حدث بين قبيلة برغواطة ، أم خضوع برغواطة لحكم الأدارسة كما يشير محمود إسماعيل . ويبدو أن الأمر الثاني أقرب الى الصحة إذا علمنا أن الذي تولى السلطة أبو غفير الذي تشير المصادر الى أنه كان لديه أربعة وأربعون ولدا [109]. وحتى إن شككنا في صحة الرواية فإنها تدل على أن لديه عصبية قوية تقف الى جانبه وتمكنه من السلطة . أما مسألة خضوعهم للأدارسة فسنناقشها حيث حديثهم عن علاقتهم مع الأدارسة .

ومهما يكن من أمر فقد تزعم أبو غفير [110] برغواطة ، ودان بديانة آبائه واشتدت شوكته وعظم أمره وكانت له مع البربر وقائع مشهورة منها وقعة تيمغسن وكانت مدينة عظيمة أقام القتل في أهلها ثمانية أيام [111]. ومنها وقعة بموضع يقال له بهث عجز الاحصاء عن عد من قتل فيها . خلدها سعيد بن هشام المصمودي بقصيدة توضح القوة التي مارسها البرغواطيون ضد البربر[112].

وتوفي أبو غفير بعد أن حكم تسعا وعشرين سنة [113].وتولى الحكم ابنه أبو الأنصار عبد الله . وقد وصفته المصادر بأنه كان سخيًا ظريفا يفي بالعهد ويحفظ الجار . وأنه كان كبير الدعوة مهابا عند ملوك عصره يهادنونه ويدافعونه بالمواصلة ، وكان يلبس الملحفة والسراويل ولا

يلبس القميص المخيط من الثياب ولا يعتم إلا في الحرب ولا يعتم في بلده أحد إلا الغرباء [114]. ولم يخض حربا مع جيرانه ، ويذكر البكري أنه كان يجمع جنده في كل عام ويظهر أنه يغزو من حوله فتهادنه القبائل وتستألفه ، فإذا استوعب هداياها فرق أصحابه وسكنت حركته،وتوفي سنة احدى وأربعين وثلاثمائة ودفن بأمسلاخت وتولى الحكم من بعده ابنه أبو منصور عيسى وكان أبوه قد أوصاه قبل موته بموالاة صاحب الأندلس وبذلك يوصي جميعهم المرشح للملك [116].وتشير المصادر الى أنه دان بديانة آبائه من النبوة والكهانة واشتد أمره ودانت له قبائل المغرب فكان جيشه يناهز ثلاثة آلاف من برغواطة وعشرة آلاف من سواهم ممن هم على ملتهم، واثني عشر من المسلمين[117]. وقد قتل أبو منصور سنة 369 على يد بلكين بن زيري .

ولا تمدنا المراجع بمعلومات تفيد في تتبع أمراء الأسرة الحاكمة وسياستهم الداخلية بعد عام 369 فقد أكد كاتب مادة برغواطة باستحالة تتبع السياق العام للأحداث بعد حكم أبي منصور . وهو قول سبق وأن ردده ابن خلدون (لم أقف على ملك أمرهم بعد أبي منصور عيسى)[118]. وقد دفع هذا ابن عذارى الى اعتبار هذه السنة نهاية الدولة البرغواطية[119]. واعتقد البكري أن نهايتهم كانت سنة420[120]. أما ابن الخطيب فيطيل حكمهم الى سنة 452 [121] الا أنه من الملاحظ أن البرغواطيين استمروا فترة أطول حيث بقوا حتى عهد الموحدين .

يعتبر عهد أبو منصور نهاية لعصر القوة والأزدهار للبرغواطيين،فقد بدأوا يضعفوا نتيجة لتعرضهم لضغط المجاورين باعتبارهم منحرفين ومارقين عن الدين . فقاتلهم الأدارسة والفاطميون والزيريون والزناتيون والمرابطون والموحدون . وأنزلوا بهم هزائم منكرة

وخسائر فادحة حتى ليخيل للقارىء أنه قضى عليهم تماما .

فقد حاول إدريس الأول القضاء عليهم حينما زحف الى تامسنا لمحاربتهم . ويختلف المؤرخون في أسباب غزوهم ، فالبعض يرى أنه حاربهم لكونهم مجوسا وذلك لنشر الإسلام بين القبائل البربرية التي ما زالت تدين بالنصرانية واليهودية ، ففتح معاقلها وأسلم جميع أهلها على يديه (122). ويرى محمود إسماعيل أن الدافع الأقتصادي كان وراء هذه الحملة ، إذ أن الأدارسة لم يكن بوسعهم التوسع شرقا حتى لا يصطدمون بالأغالبة الأقوياء ، فاتجهوا نحو إقليم تامسنا الغني بعد أن عجزت موارد الدولة عن مواجهة حاجة القبائل الكثيرة التي بايعت إدريسا (123). ومهما كان الدافع فإن إدريس الأول فشل في تحقيق هدفه فبقيت تامسنا خارجة عن نفوذ الأدارسة يتحكم فيها البرغواطيون . غير أن الأدارسة طوقوهم حينما احتلوا تلمسان وشلة والسوس ونفيس وهذه المدن تسيطر على الطرق التجارية المتجهة من الصحراء الى الشمال والى الشرق(124).

وعاود الأدارسة قتال البرغواطيين في عهد إدريس الثاني وقيل أن العاهل البرغواطي قاتل الأدارسة وكانت بينه وبين إدريس الثاني حروب عظيمة لم تحسم لصالح الأدارسة كذلك (125). ويرى الدكتور محمود إسماعيل أن إدريس قتل يونس ثم يعود مرة أخرى فيقول وقدر لمحمد بن إدريس أن يقهر برغواطة ويقتل أميرها بدليل حدوث فترة شغور في العرش البرغواطي معتمدا على رواية ابن الخطيب بأن محمد بن إدريس قسم دولة الأدارسة الى أعمال بين إخوته فأسند عدة أقاليم من بينها تامسنا الى أخيه عيسى ثم أعطيت الى أخيه عمر بعد أن تمرد الأول عليه (126). ان فترة الشغور التي يشير اليها لا يؤكدها مصدر تاريخي كتب عن هذه الفترة ، ولو أن هذه المصادر تشير الى تقسيم محمد

لدولته على إخوته . لذلك من المحتمل أن الأدارسة لم يتمكنوا من فرض سيطرتهم على كل أملاك البرغواطيين لأننا لا نملك نصا يؤكد سقوط البرغواطيين أو خضوعهم للأدارسة .

وحينما ظهر الفاطميون على المسرح السياسي ، اندلع الصراع بينهم وبين أمويي الأندلس على المغرب الأقصى ، فتعرض البرغواطيون لأخطار الجيوش المتحاربة ، حيث كان أهل البصرة وفاس يغزونهم في بعض الأحيان ، كما أن محمد بن الفتح المعروف بالشاكر لله أمير سجلماسة دعى قومه الى جهاد برغواطة في منتصف القرن الرابع الهجري الا أنه لم يصل الى هدفه لأن الفاطميين أسروه وقتلوه (127).

وتوجه عامل المنصور بن أبي عامر الى البصرة وهو جعفر بن علي سنة 366 الى جهاد برغواطة ، وزحف إليهم بأهل المغرب وكافة الجند الأندلسيين ، ألا أن الحملة لم تحقق أهدافها فقد انهزم أمام البرغواطيين ونجا بنفسه وقليل من جنده (128) ثم حاربتهم صنهاجة حينما غزا بلكين بن زيري قائد أفريقية من قبل الفاطميين سنة 369 المغرب، وزحف اليهم بقواته فلقيه أبو منصور عيسى بن أبي الأنصار.. وانهزم البرغواطيون وقتل أميرهم وأثخن فيهم بلكين وبعث بسبيهم الى القيروان ، وأقام بالمغرب يردد الغزو فيهم الى سنة 327 ويقول ابن خلدون ولم أقف على من يملك أمرهم بعد أبي منصور(129).

وحاربهم المنصور بن أبي عامر ، لما عقد ابنه عبد الملك المظفر لمولاه واضح على جهاد برغواطة فعظم أثره فيهم بالقتل والسبي وحاربهم أيضا بنو يفرن لما استقل بنو يعلي بن محمد بن صالح بناحية سلا (130). لكن برغواطة بقيت صامدة في بلادها معلنة ديانتها فقاتلهم أبو كمال تميم اليفرني سنة 420 فغلبهم على بلادهم وولى عليها من قبله بعد أن أثخن فيهم قتلا وسبيا وجلا من بقي منهم فاستوطن ديارهم وانقطع أثرهم ولم

يبق لضلالتهم باقية ولا من أواصر كفرهم اصرة وجميع بلاد برغواطة اليوم على ملة الإسلام [131]. ويبدو طابع المبالغة في هذا النص إذ أن البرغواطيين بقوا يمارسون نشاطهم لفترة زمنية أطول .

وشاركت قبائل هسكورة في حرب برغواطة بناء على فتوى أبو محمد بن عبد الله بن تيسبيت . ويمكن أن نربط مشاركة هسكورة بحربهم الى زحف هذه القبائل وصنهاجة المجاورين لهم نحو السهل الذي تحتله برغماطة ، ولا شك أن هذه التوسعات للجبليين هي التي أثخنت في برغواطة قبل استكمال غزوهم من المرابطين ، فعندما ظهر هؤلاء وجدوا قبائل هسكورة وربما بعض قبائل الأطلس الغربي تحاول التوسع في السهول على حساب برغواطة [132].

وهكذا بدأ الضعف يدب في صفوف البرغواطيين نتيجة للضربات التي تلقوها من محاربيهم . فحينما ظهر المرابطون رأى عبد الله بن ياسين [133] أن جهادهم أهم من جهاد غيرهم فسار إليهم بجيوشه وكان زعيم برغواطة آنذاك أبو حفص عبد الله ، ودارت بين الفريقين معارك عنيفة قاوم فيها البرغواطيون مقاومة شديدة وتمكنوا من قتل عبد الله بن ياسين. فتولى أبو بكر عمر قيادة المرابطين وتمكن من الإنتصار عليهم [134]. وتشير المصادر الى أن برغواطة تركت بلادها ومن بقي منهم أسلم إسلاما جديدا [135]، ولم يبق لديانتهم الخسيسة أثر [136]، وكان انقراض أمرهم وقطع دابرهم على يد هؤلاء المرابطين والحمد لله رب العالمين [137].

ويشير الدكتور حركات الى أن المرابطين عملوا على تصفية الوجود البرغواطي الذي ظل في أوجه بكل من دكالة وضواحي الرباط وسبتة ، وفعلا عمدوا على إرغام البرغواطيين على تصحيح إسلامهم ، ولكي يقطعوا أملهم في الحفاظ على كيانهم المستقل خارج الوحدة الإسلامية

خربوا ما لا يقل عن أربعين مدينة أو مركزا عمرانيا وأكثرها في منطقة دكالة التي انتقلت اليها عاصمتهم على اثر تخريب شالة في العهد الزناتي بل إن العاصمة أزمور كانت في العهد المذكور مركزا موازيا لشالة [138]. ويضيف : أن منطقة تامسنا على العموم أصبحت قفراء بعد تهديم المدن البرغواطية وهجرة سكانها فتحولت الى مراتع للحيوانات والنباتات البرية حسب تأكيد الحسن الوزان . وبذلك اندثر التراث البرغواطي المكتوب والجامد بصفة شاملة الا بعض ما لا يسمن ولا يغني من جوع. وعمل المرابطون على استقدام بعض المجموعات الصنهاجية لتعمير المنطقة [139].

وحقيقة الأمر أن المرابطين لم ينجحوا في استئصال البرغواطيين ولم يقضوا عليهم نهائيا . إذ أنهم قاوموا الموحدين مما يؤكد استمرارهم طوال حكم المرابطين . ولكن السؤال المطروح هل بقيت برغواطة كقبيلة تدين بالإسلام وترفض الخضوع للنفوذ الأجنبي، أم أنهم بقوا متمسكين بعقيدتهم إثناء مقاومة الموحدين ، فالنصوص التي تتحدث عن مقاومتهم للموحدين لا تشير الى مسألة العقيدة البرغواطية ولا الى كفرهم كما كانت تتحدث عنهم في مقاومتهم للمرابطين وغيرهم .

وتشير الروايات الى أن عبد المومن بعد أن فتح سلا واتجه نحو مراكش سرح الشيخ أبا حفص لغزو برغواطة فأثخن فيهم ورجع [140]. ويعتقد الدكتور محمود اسماعيل أن الدافع لهذا الغزو كان اقتصاديا معتمدا على رواية ابن عذاري(فغزاهم ثم غلبهم وعاد الى عبد المومن فتلاقيا على الخيل فقسم الغنائم على الموحدين) [141]. وخرج أبو حفص ثانية بعد أن انتصر على هسكورة وسجلماسة الى برغواطة فحاربوه مدة ثم هزموه [142]. ولما علم عبد المومن بهزيمة الشيخ أبي حفص خرج قاصدا بلاد برغواطة فلما تسامعت بخروجه كتبوا الى يحيى بن أبي بكر

الصحراوي [143] بسبتة يستنصرونه ،ولما حضر بايعوه واجتمعوا عليه وقاتلوا عبد المومن فهزموه ، ثم كانت له كرة عليهم فهزمهم وحكم السيف فيهم واستأصل شأفتهم حتى انقادوا للطاعة ، وتبرأوا من يحيى الصحراوي ومن لمتونة وذلك في سنة 524 [144]. ويظهرلنا هذا النص أن البرغواطيين تعاونوا مع الصحراوي الذي كان متمسكا بدعوة المرابطين مما قد يشير الى تخليهم عن ديانتهم .

وبعد هذه المعركة جلب الموحدون عددا من القبائل العربية وأقامت في ديار برغواطة في تاريخ المغرب الأقصى . ولو أن هناك إشارة الى وجودهم الى العهد المريني حيث يقول ابن الخطيب «وقبيلهم اليوم ضعيف ، لعب فيهم سيف الملثمين ثم سيف الموحدين بعده».

وأخيرا يمكن القول أن امارة برغواطة احدى الامارات المستقلة في المغرب تبنت ديانة جديدة ولعبت دورا كبيرا على المسرح السياسي لفترة تزيد عن أربعة قرون . الا أن هذا الدور لم يتضح بشكل جلي ومتكامل إضافة الى التزييف والتحريف .فما نملكه يعتبر وجهة نظر أحادية تمكنا من استقراء بعض نصوصها . لذلك نبقى بحاجة ماسة لمعرفة وجهة نظر البرغواطيين التي هي في طي الكتمان ، عسى أن يفصح لنا الزمن عن هذا الكتمان لنضع تاريخ هذه الامارة في مكانه الصحيح بالنسبة لتاريخ المغرب والتاريخ العربي الاسلامي .

هوامش البحث

(1) البكري ، المسالك والممالك ،مكتبة المثنى ، بغداد ، 134 .

(2) ابن عذارى ، البيان المعرب في أخبار الأندلس والمغرب ، بيروت، ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، الرباط ، 1973 ، ابن الخطيب تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط وهو القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام ، الدار البيضاء ، 1964 .

(3) مارسيا Marcy، سي Basset سلوش Slouch ، موتايلنسكي Motylinski، دوزي Dozy،جوليانJulien د . سعد زغلول ، د أحمد مختاري العبدي .

(4) البكري ، المصدر السابق ، 134 .

(5) مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، الاسكندرية ، 1958 ص 197 .

(6) ابن عذاري ، المصدر السابق ، 1 / 224 .

(7) ابن حوقل صورة الارض ، ليدن 1938 ، ص 32 .

(8) البكري ، 138 ، ابن أبي زرع ، 130 ، ابن الخطيب ، 3/ 180 الناصري ، الاستقصاء في تاريخ المغرب الأقصى ، الدار البيضاء 1954 ، 2 . 15 ، عبد الوهاب بن منصور ، قبائل المغرب ، الرباط 1968 ،ج . 1/ 323 .

(9) ابن دحـيـــة الجلي، المطرب من أشـعـــار أهل المغـــرب،القـــاهرة 1954، 88-389.

(10) ابن خلدون ، العبر ، دار الكتاب اللبناني ، 1968 ، 6/ 428 ، 437 .

(11) عبد الوهاب بن منصور ،322/1.

(12) الناصري ،65/1، 114/1، د.ابراهيم حركات ،المغرب عبر التاريخ الدار البيضاء1965، 34، 103، عـبـد الله عـلام ،الدعـوة الموحـدية بالمغرب،القاهرة 1964، 13، 42 .

(13)د.ابراهيم حركات ، «المجتمع الدكالي والفكر الديني » ، مجلة دعوة الحق ،224 ،غشت 1982 ،ص.72 .

(14) دائرة المعارف الاسلامية ـمادة مصمودة .

(15) تامسنا : كلمة بربرية بلهجة زناتة ومعناها البسيط الخالي ،وقد أطلقت على المنطقة الممتدة من الرباط الى الدار البيضاء.وفي أغلب الروايات من سلا الى أم الربيع ،وكانت في الاصل موطنا لزناتة وزواغة حتى نزل فيها طريف .وكانت أرضا من سدرة وعليق ترعى فيها الاغنام وقد سمى أحد أبواب مدينة الرباط بهذا الاسم .وما يزال لفظ تامسنا يطلق في صـحـراء غـدا مس بمعنى الارض الفـقـراء والبـسـيـط الخالي.(د.أحمد مختار العبادي ،في تاريخ المغرب والاندلس ،بيروت 1968، 278 ،عبد الوهاب بن منصور ،المصدر السابق ،323/1) .

(16) بعد ان تلاشت برغواطة حل محلها العرب ولا سيما عرب سويد بن رباح الهلاليين وذلك أيام الدولة المرينية وسموا عرب الشاوية نسبة الى الشاة لانهم كانوا يقومون برعي أغنام وماشية الدولة المرينية (أحمد مـخـتـار العـبـادي ،المصـدر الســابق ،35، دائرة المعـارف الاسـلامـيـة (برغواطة).

(17) البكري ،87، عبد الوهاب بن منصور ،323/1 .

(18) ابن خلدون ،58/6 .

(19) وهي مدينة قديمة مندرسة مازالت أطلالها باقية خارج أسوار مدينة الرباط مقابل مدينة سلا التي لا يفصلها عنها سوى وادي أبو رقراق ولذا عرفت بشالة سلا.

(20) مجلة البحث العلمي ، العدد الثالث ، سبتمبر ـ ديسمبر 1964 ، ص 34 .

(21) محمد بن علي الدكالي السلاوي ، الاتحاف الوجيز بأخبار العدوتين لمولانا عبد العزيز ، محفوظ بخزانة الرباط رقم D / 320 نقلا عن أحمد مختار العبادي ، ص 283 ، محمد أحمد العبدي ، آسفي وما إليه ، ص 78 - 79 .

(22) ابن الزيات ،التشوف الى رجال التصوف ، الرباط 1959 ،ص 26 عبد الحي الكتاني، «أشرف بقعة وأقدس ـ بناحية مراكش» ، مجلة المغرب ، السنة الخامسة ، يونيو يوليو 1936.

(23) البكري ، 86، 160 ، 161 .

(24) د . عبد الله العروي ، تاريخ المغرب ، محاولة في التركيب ترجمة د . ذوقان قرقوط ، بيروت 1977 ، ص 143 .

(25) ابن حوقل ، 56 .

(26) ابن الخطيب ، 3/ 184 .

(27) عبد الرحمان بن زيدان ، اتحاف أعلام الناس ، الرباط 1930 2/ 72 .

(28) يقول عبد الوهاب بن منصور ، 1 / 323 ، هو نهر سلا ولا شك هو أحد فروع نهر أبي رقراق .

(29) ابن الخطيب ، 3 / 85 .

(30) د . العروي ، 143 .

(31) ابن حوقل ، 83 .

(32) Julien, A . : Histoire de l'Afrique du Nord . Paris; 1961, p : 307.

(33) ابن حوقل ، 83 .

(34) انظر البكري ، ابن خلدون، ابن الخطيب، ابن أبي زرع ، الناصري .

(35) البكري ، 138 .

(36) ن. م. 140 .

(37) ابن خلدون ، 6 / 429 ، ويضيف ابن أبي زرع ، موسى ، هارون بني اسرائيل ، الاسباط ، الحشر .

(38) البكري ، 140 .

(39) ن. م. ، 139 ، دائرة المعارف الإسلامية (مادة برغواطة)

(40) ن. م. ، 138 ـ 139 .

(41) ن. م. ، 139 ، دائرة المعارف الاسلامية .

(42) ابن عذاري ، 1 / 226 - 227 ،ابن الخطيب ، 3 / 182- 183 ، ابن أبي زرع .

(43) ابن حوقل ، 82-89 .

(44) لمزيد من التفصيلات انظر :

Marcy, Dieu des Abâdites et des Bârgwata Hesperis, Tome xxII, Fasc. I p. 43

نقلا عن محمود اسماعيل ، مغربيات ، دراسات جديدة ، المحمدية ، 1977 ، 41 .

(45) Dosy, Essai sur l'Histoire de l'Islamisme, p: 43

نقلا عن محمود اسماعيل ، 41 .

(46) دائرة المعارف الاسلامية - مادة برغواطة .

(47) محمود اسماعيل ، 42 .

(48) Nahoum Slouch, l'Empire des Berghouata et les origines des blad-es-Siba

(49) Gaston de Verdun, Marrakech des origines, Rabat, 1959.

(50) أحمد مختار العبادي ، 281 ، محمود اسماعيل ، مغربيات ، 41 .

(51) د. ابراهيم حركات ، مجلة دعوة الحق ، 224 .

(52) محمود اسماعيل ، مغربيات ، 47 .

(53) د. سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي ، القاهرة 1969 . 419

(54) محمود اسماعيل ، مغربيات ، 48 .

د. سعد زغلول عبد الحميد ، د. عبد الله العروي ، د. ابراهيم حركات دائرة المعارف الاسلامية ، الفردبيل ، الفرق الاسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ، ترجمة د.عبد الرحمان بدوري ، دار الغرب الاسلامي، 1981 .

(55) Motylinski, le nom berbère, de Dieu chez les Abâdites Alger, 1905

(56) ابن حوقل ، 82 .

(57) ن. م. ، 83 .

(58) البكري ، 138 ، ابن عذاري ، 321 .

(59) محمود اسماعيل ، مغربيات ، 43 .

(60) ن. م.

(61) د. سعد زغلول ، 418.419 .

(62) د. عبد الله العروي ، 108 .

(63) د. ابراهيم حركات ، 72 .

(64) الفردبيل ، المصدر السابق 175 .

(65) المصدر نفسه ، 176 .

(66) المصدر نفسه ، 177.178 .

(67) المصدر نفسه .

(68) المصدر نفسه .

(69) محمود اسماعيل ، مغربيات ، 21 ، 22 ، 24 ، 26 ، 43 .

(70) المصدر نفسه ، 49 ـ 53 .

(71) د. محمود اسماعيل ، الخوارج ، 40 .

(72) المصدر نفسه 76 .

(73) المصدر نفسه ، 236 .

(74) المؤلف ، مغربيات ، 46 .

(75) المؤلف ، الخوارج 37 .

(76) المؤلف ، مغربيات 53 .

(77) المصدر نفسه ، 11 .

(78) المصدر نفسه ، 26 هامش 66 .

(79) المصدر نفسه ، 17 .

(80) محمود اسماعيل ، مغربيات ، 25 ـ26 .

(81) لعله يقصد طريف بن مالك الذي مهد لطارق بن زياد فتح الأندلس بغارته الإستطلاعية على جنوب الأندلس..

(82) البكري ، 135 .

(83) ابن أبي زرع ، 130 ، مجهول ، الاستبصار، 197، الناصري ، ج. 1 / 114 .

(84) ابن عذاري ، 1 / 223 .

(85) ابن خلدون ، 6 / 428 .

(86) الفردبيل ، 173 ، دائرة المعارف الاسلامية ـ مادة برغواطة.

(87) ابن الخطيب ، 3/ 181 .

(88) ابن خلدون ، 6 / 428 .

(89) ابن خلدون ، 6 / 429 ، الناصري ، 1 / 115 . 2 / 16 ، دائرة المعارف الاسلامية ، أحمد توفيق ، المجتمع المغربي خلال القرن التاسع عشر (اينولتان 1850 ـ 1912) ج. 1 / 76 ـ 77 .نقلا عن صاحب كتاب القبل وهو الشيخ أبي علي صالح بن الشيخ صالح ، مخطوط .خ. ع. رقم ق.

1983 ، الذي يحدد سنة 125 وهو أقرب الى الصواب لأن هشام بن عبد الملك توفي في هذا العام .وقد أخطأ الدكتور محمود اسماعيل باعتبار هذا العام هو توليه السلطة فوقع في خطأ سني حكم أمراء برغواطة.

(90) البكري ، 135 .

(91) ابن خلدون ، 6/ 429 ، الناصري ، 2/ 16. ويحدد الدكتور محمود اسماعيل سنة 128 وهي رواية غير موفقة .

(92) البكري ، 135 ، ابن خلدون ، 6/ 429 ، دائرة المعارف الاسلامية .

(93) سورة التحريم ، آية 4 .

(94) البكري ، 135 . 136 ، ابن خلدون ، 6/ 429 وذكر بدل وربيا (روبيا) وبدل ورباوري (وريا) ، الناصري ، 1/ 115 . 111 في العبري روبيل وفي البربري وارياب ، دائرة المعارف السلامية .

(95) البكري ،139 ،ابن خلدون ، 6/ 430 ، الناصري ، 1/ 116 . 2/ 16 بيل، 174 ، دائرة المعارف الاسلامية .

(96) ابن حوقل ، 81 .

(97) ابن الخطيب ، 3/ 130 .

(98) الناصري ، 2/ 15 .

(99) البكري ، 135 ، ابن خلدون ، 6/ 430 ، دائرة المعارف الاسلامية .

(100) البكري ، 136 ، ابن خلدون ، 6/ 430 ، الناصري . 2/ 16.

(101) ا لبكري ، 136 .

(102) رحل مع عباس بن ناصح وزيد بن سنان الزناتي صاحب الواصلية وبرغوث بن سعيد التراري وجند بني عبد الرزاق ويعرفون ببني وكيل

الصفرية ومناد صاحب المنادية المنسوب اليه القلعة المعروفة بالمنادية قرب سجلماسة ، البكري ، 137 .

(103) الصحيح أن صالح هو الذي أخذ عن غيلان الدمشقي الذي لم يكن على قيد الحياة إبان وجود يونس . محمود اسماعيل ، 25 .

(104) البكري ، 137 . 138 .

(105) ابن الخطيب ، 3 / 184 .

(106) ابن خلدون ، 6 / 431 .

(107) البكري ، 136 ، ابن خلدون ، 6 / 430 ، الناصري ، 2 / 16 (الوغد هو المنفرد الوحيد الذي لا أخ له ولا ابن عم).

(108) البكري ، 136 ، ابن خلدون ، 6 / 430 ،الناصري ، 2 / 17 .

(109) البكري ، 136 .

(110) وهو محمد (يحمد) بن معاذ بن اليسع بن صالح بن طريف .

(111) البكري ، 136 .

(112) وادي بهت بني عليه سد القنصرة بناحية سيدي قاسم وسيدي سليمان (عبد الوهاب بن منصور ، 1 / 70) والأبيات التي ذكرها البكري نذكر منها :

قفي قبل التفرق فأخبرينا
وقولي وأخبري خبرا مبينا

هموم برابر خسروا وظلوا
وخابوا ولا سقوا ماء معينا

يقولون النبي أبو غفير
فأخزى الله أم الكاذبين

ألم تسمع ولم تر يوم بهت
على آثار خيلهم رنينا

رنين الباكيات فبين ثكلى
وعارية ومسقطة جنينا

هنالك يونس وبنيو بنيه
يقودون البرابر مهطعين

فليس اليوم ردتكم ولكن
ليالي كنتم متميسرينا

(113) يحدد البكري وفاته سنة 300 هـ. ويبدو أن ابن خلدون أدق إذ أنه يحدد وفاته أخريات المائة الثالثة ، ويحدد حكم خليفته بأربع وأربعين عاما وليس اثنين وأربعين كما ذكر البكري وبذلك يستقيم الحكم ولا تظهر ثغرة في السنين . إذ أنه حسب زواية البكري ستظهر ثلاث سنوات من الشغور .

(114) البكري ، 136 . 137 ، ابن خلدون 6 / 431 . 432 ، الناصري ، 2 / 16

(115) البكري ، 137 ، ابن خلدون ، 6 / 432 ، الناصري ، 2 / 17.

(116) البكري ، 137 .

(117) البكري ، 137 . 141 ، ابن خلدون ، 6 / 432 ، دائرة المعارف الاسلامية - مادة برغواطة - .. القبائل التي كانت على ملتهم : جراوة ، زواغة ، البرانس ، مطغرة ، بنو دمر ، بنو أبي ناصر ، فحصة ، بنو أبي

نوح ، مطماطة ، بنو دائمر ، بنو بورغ ، بنو وزكسينت (واوزكيت) .

أما القبائل المسلمة : آزمور ، بنو يفرن ، بنو أفلوسة ، زناتة الجبل ، بنو يليت ، محالته ، بنو واد ، بنو ناغيت ، بنو النعمان ، بنو كونه ، بنو يسكر ، آصادة ، ركانة ، وازمين (وايزن) منادة ، ماسينة ، رصانة ، ترارته ، وتمغراوة .

(118) ابن خلدون ، 6/ 433 .

(119) ابن عذاري ، 1/ 227 .

(120) البكري ، 141 .

(121) ابن الخطيب ، 3/ 186 : 187 .

(122) ابن أبي زرع ، 20 ، د. ابراهيم حركات ، المغرب ، 113.

(123) د. محمود اسماعيل ، مغربيات ، 31 .

(124) د. ابراهيم حركات ، 119 ، د. عبد الله العروي ، 111 .

(125) ابن الخطيب 36/ 186 .

(126) ن. م. ، 250 ، د. محمود اسماعيل ، 28 ، 32 .

(127) ابن حوقل ، 83 .

(128) ابن خلدون ، 6/ 32. 433 .

(129) ن. م. ، الناصري ، 2/ 18 ويرى أن أبا منصور قتل على يد جعفر بن علي (1/ 207) د. ابراهيم حركات ، المغرب ، 151.

(130) ابن خلدون، 6/433، الناصري، 2/18

(131) البكري ، 141 ، الناصري 2/ 18 .

(132) أحمد التوفيق ، إينولتان ، 1/ 76. 77 .

(133) مؤسس دولة المرابطين ، لا يعرف تاريخ ولادته ، في شبابه ذهب الى الأندلس لطلب العلم ، وعاد ودرس على وجاج بن زالو ، ينتمي الى قبيلة جزولة ، خرج الى بلاد كدالة لتعليم صنهاجة الدين الإسلامي،هناك نشر تعاليمه وأقام رباطا خاصا به أقام فيه وأصحابه ، وبعد أن خضعت لطاعته صنهاجة تمكن من محاربة أعدائهم وأسس دولة المرابطين .

(134) الناصري، 2/ 218 ، عبد الله كنون ،عبد الله بن ياسين، دار الكتاب اللبناني ، 1971 ، 26 ، د. ابراهيم حركات ،المغرب ، 171 . 184

(135) ابن الخطيب ، 3/ 187 . 231 .

(136) ابن أبي زرع ، 133 .

(137) ابن خلدون ، 6/ 376 . 434 ، حركات، المغرب، 171 ـ 184

(138) د. ابراهيم حركات ، مجلة دعوة الحق ، ع 224 .

(139) ن. م.

(140) ابن خلدون ،6/ 479 . 484 ، الناصري 2/ 108 .

(141) ابن عذاري ، 3/ 21 .

(142) ابن خلدون ، 6/ 484 ، الناصري ، 2/ 113 .

(143) يحيى بن أبي بكر الصحراوي كان معتصما بفاس أيام حصار عبد المومن لها ، ثم فر ولحق بابن غانية الذي كان معتصما بقرطبة متمسكا بدعوة المرابطين ، وأرسل ابن غانية الصحراوي واليا على سبتة بناء على طلب القاضي عياض حينما ثارت سبتة على الموحدين .

(144) ابن خلدون ، 6/ 484 ، الناصري 2/ 14 .

(145) د. ابراهيم حركات ، دعوة الحق ع. 224 ، ص.73 .

المراجـــــع

1ـ ابن أبي زرع : علي بن أبي زرع الفاسي (ت. 720 هـ.).

الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، الرباط 1973 .

2 ـ ابن حوقل : أبو القاسم بن حوقل (ت. النصف الثاني من القرن الرابع الهجري) صورة الأرض ، ليدن 1938 .

3 ـ ابن الخطيب : لسان الدين محمد (ت. 840) .

تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط ، وهو القسم الثالث من كتاب : أعمال الأعلام ، الدار البيضاء 1964 .

4 ـ ابن خلدون : عبد الرحمان بن محمد (ت. 808) .

العبر وديوان المبتدأ والخبر ،ص. 6،دار الكتاب اللبنانية 1967 .

5 ـ ابن الزيات : أبو يعقوب يوسف التادلي .

التشوف الى رجال التصوف ، الرباط 1958 .

6 ـ ابن عذاري: محمد بن عذاري المراكشي (ت. نهاية القرن السابع الهجري) .

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، بيروت .

7 ـ اسماعيل دكتور محمود :

الخوارج في المغرب الاسلامي ، بيروت ، 1976 .

8 ـ مغربيات ، دراسات جديدة ، المحمدية ، 1977 .

9 ـ البكري : أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت. 1460) . المسالك والممالك ، مكتبة المثنى ، بغداد ، بدون تاريخ .

10 ـ بيل ، الفرد .

الفرق الاسلامية في الشمال الأفريقي من الفتح العربي حتى اليوم ، ترجمة د. عبد الرحمان بدوي ، دار الغرب الاسلامي ، 1981 .

11 ـ توفيق ، أحمد .

المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (اينولتان 1850 ـ 1912 .

12 ـ حركات : د. ابراهيم .

« المغرب عبر التاريخ» الدار البيضاء ، 1965 .

13 ـ دائرة المعارف الاسلامية .

14 ـ زيدان : عبد الرحمان .

اتحاف أعلام الناس ، الرباط 1930 ، ج. 2 .

15 ـ العبادي : الدكتور أحمد مختار .

في تاريخ المغرب والأندلس ، بيروت 1978 .

16 ـ العبدي : محمد بن أحمد .

آسفي وما إليه .

17 ـ عبد الحميد : د. سعد زغلول .

تاريخ المغرب العربي ، القاهرة ، 1969 .

18 ـ العروي : د. عبد الله .

تاريخ المغرب محاولة في التركيب ، ترجمة الدكتور ذوقان قرقوط ، بيروت ، 1977 .

19 ـ علام : عبد الله .

الدعوة الموحدية بالمغرب ، القاهرة 1964 .

20 ـ السلاوي : محمد بن علي الدكالي (ت. 1945).

الاتحاف الوجيز بأخبار العدوتين لمولانا عبد العزيز ، مخطوط بخزانة الرباط رقم 1320 .ص .

21 ـ الكلبي : ابن دحية .

المطرب في أشعار المغرب ، القاهرة ، 1954 .

22 ـ كنون : عبد الله .

عبد الله بن ياسين ، دار الكتاب اللبناني ، 1971 .

23 ـ منصور : عبد الوهاب .

قبائل المغرب ، الرباط ، 1967 .

24 ـ مجهول : (ت. القرن السادس الهجري) . .

الاستبصار في عجائب الامصار ، الاسكندرية ، 1958.

25 ـ الناصري : أحمد بن خالد (ت. 1319 هـ.) .

الاستقصاء لأخبار دول المغرب الاقصى ، الدار البيضاء 1954.

ب ـ المصادر الأجنبية :

1 - BASSET, R.:

Le nom berbère de Dieu chez Les Abâdites

Bulletin de la sociétè Archéologique de sousse, 2éme semestre, 1905.

2 - DOZY, E.:

essai sur l'Histoire de l'Islamisme.

3 - JULIEN A.:

Histoire de l'Afrique du Nord, Paris, 1961.

4- MARCY, G.:

Les Dieux des Abâdites et des Bargûata, Hesperis,Tome xxII, fasc. 1, Paris, 1936.

5- MOTYLINSKI:

Le nom berbère de Dieu chez Les Abâdites, Alger, 1905.

6 - SLOUCH, N.:

L'Empire des bergouata et Les origines des blades - siba, Revue du Monde Musulman, Tome x, N: 3, 1910.

ج ـ المقالات :

1 ـ مجلة البحث العلمي ، العدد الثالث ، سبتمبر ـ ديسمبر 1964 .

2 ـ د. ابراهيم حركات ، «المجتمع الدكالي والفكر الديني» . مجلة دعوة الحق ، 224 ، غشت 1982 .

3 ـ عبد الحي الكتاني ، «أشرف بقعة وأقدس ـ بناحية مراكش ، مجلة المغرب ، السنة الخامسة ، يونيو ـ يوليو 1936 .



البربر البرغواطيون
البدعة، المثاقفة، والنزعة الوطنية

كان البرغواطيون حكام المملكة التي عمرت أربعة قرون. وقد نظر الاخباريون والدارسون المحدثون إلى نحلتهم بصفتها تشويها للاسلام. وموضوع الدراسة هو تأطير حركتهم ضمن منظور المثاقفة والنزعة الوطنية، الأمر الذي ترتبت عنه نتائج :

ــ برغم الأصل اليهودي لطريف. فقد اعتنق القضية البربرية تحت لواء المذهب الخارجي الصفري، في وقت كان فيه البربر ضحايا.

ــ لم يكن البربر قبيلة واحدة. وانما اخلاطا يوحدهم الشعور الوطني.

ــ هدوا الناس بالاستمالة والاقناع وبالعنف كذلك وأمدوهم بنبي منهم وبقرآن مكتوب بلغتهم.

تستمر الدراسة في تحليل سيرورة تكون المذهب البرغواطي بصفته ايديولوجية جديدة تولدت عن الاحتكاكات مع الشرق ومن ثم لعبت المثاقفة دور السلاح الذي أخذ من الخصم واستعمل في أفق انجاز مهام التحرر الوطني.

20 د.